


# ماذا جرى أيتها الاميرة ؟

طفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل    ٣٥ السلسلة القصصية

ماذا جرى أيتها الاميرة ؟

مكتبة الطفل
دائرة ثقافة الاطفال
وزارة الثقافة والاعلام
الجمهورية العراقية

السلسلة القصصية

٣٥

# ماذا جرى أيتها الاميرة ؟

تأليف : هديه عبد الهادي
تصميم: زهير النعيمي
رسوم : عبد الفتاح الضوي



كانَ الاميرُ (رعد) يُحب زوجتَهُ الأميرةَ (جمان) حُباً شديداً لذكائِها ، ونُبْلِها ، وطيبةِ قلبِها . . .

وكانت الأميرةُ (جمان) تتمتعُ بجمالٍ ساحرٍ . . . كان وجهُها يشبهُ وردةً ناضرة ، وعيناها تُشبهان عيونَ المها ، وقَوامُها مثلَ غصنِ البان ، وكان اجملَ مافيها أسنانُها اللؤلؤ ، التي تكشف عنها ابتسامَتُها الساحِرة . . . وكان الأميرُ (رعد) يوفرُ للأميرةِ (جمان) كلَّ اسبابِ السعادةِ ، وقد أحضَرَ لها مجموعةً من الخيولِ الأصيلةِ ، التي تُحبُّها ، وتركبُ واحداً منها ، عند القيامِ برياضتِها الصباحيةِ ، في الغابةِ القريبةِ من القصر . . .

أما العرباتُ الفاخرةُ ، المطعَّمةُ بالذهبِ والفضةِ ، والتي تَجُرُّها الخيولُ الأصيلةُ ، فكانت تَستَقِلُّها عندما تذهبُ الى الحفلاتِ الرسميةِ ، او في التَجَوُّلِ في شوارعِ المدينةِ ، وميادينِها ، فيستقبلُها الناسُ بحبٍ وفرحٍ ، ويتجمَّعونَ على جانبيِ الطريق ، يهتفونَ بحياتِها ، ويُحَيُّونَها . . .



ويعودُ حُبُّ الناسِ العظيمِ للأميرةِ ، الى المشاعرِ النبيلةِ ، التي يحملها قلبُها الكبير . . .

فقد حدثَ ذاتَ مرةٍ ، أن مرَّتِ الأميرةُ ببيتٍ صغيرٍ ، ورأتْ أولادا يقفون على بابِ البيتِ ، وقد ظهرَ عليهم الحزنُ . .

نزلت الأميرةُ من عربتِها ، وتحدثتْ الى الاولادِ ، فعرفتْ أنَّ أُمَّهم مريضةٌ ، ارسلتْ سائقَ العربةِ ليحضرَ الطبيبَ ، ودخلتِ البيتَ الصغيرَ ، وراحت تعتني بالمرأةِ المريضة ، الى أنْ حضرَ الطبيب . . .

وعندما خرجتِ الاميرةُ ، بعد ان اطمأنّتْ على المرأةِ ، تركت كيساً من النقود ، تحت وسادتِها . . .

ومرةً أخرى ، سمعتِ الأميرةُ أنَّ عاملاً لم يستطع الخروجَ الى العملِ ، بسببِ مرضِهِ ، وأنَّ لهذا العاملِ عائلةً كبيرة . . .

حزنتِ الأميرةُ ، وطلبت الى زوجِها الأميرِ تقديمَ المساعدةِ لعائلة العاملِ المريض ، فأمر بصرفِ مبلغٍ من المالِ لهم ، ومنذ ذلك اليوم ، والأميرُ يقدِّمُ المساعداتِ للعمالِ الذين يتعطلون عن العمل بسبب المرض . . .

وفتحتِ الأميرةُ بيتاً للأطفالِ الفقراء . . . وملجأً للعجزةِ . . . وعيَّنَتْ يوماً كلَّ شهرٍ ، تقابلُ فيه الناسَ في قصرِها ، فتسمعُ شكاواهم ، وتزيلُ أسبابَها . . . وتُقدِّمُ المساعداتِ للذينَ يحتاجونَ المساعدة . . .

لذلك أحبَّها الناسُ حباً شديداً . . . وسمَّوْها (الاميرةَ الطيبة) .

وكذلك أحبوا الأميرَ الذي يسهرُ على راحةِ أهلِ المدينة ، حتى غدَتْ مدينتُهم تنبضُ بالسعادةِ . . .

ولذلكَ كانوا يَتجمَّعونَ على جانبيِ الطريقِ ، عند مرورِها ، ليحيُّوها . . . ويهتفوا لها . . .

فكانت تعودُ الى القصر ، والسعادةُ تغمرُها . . .

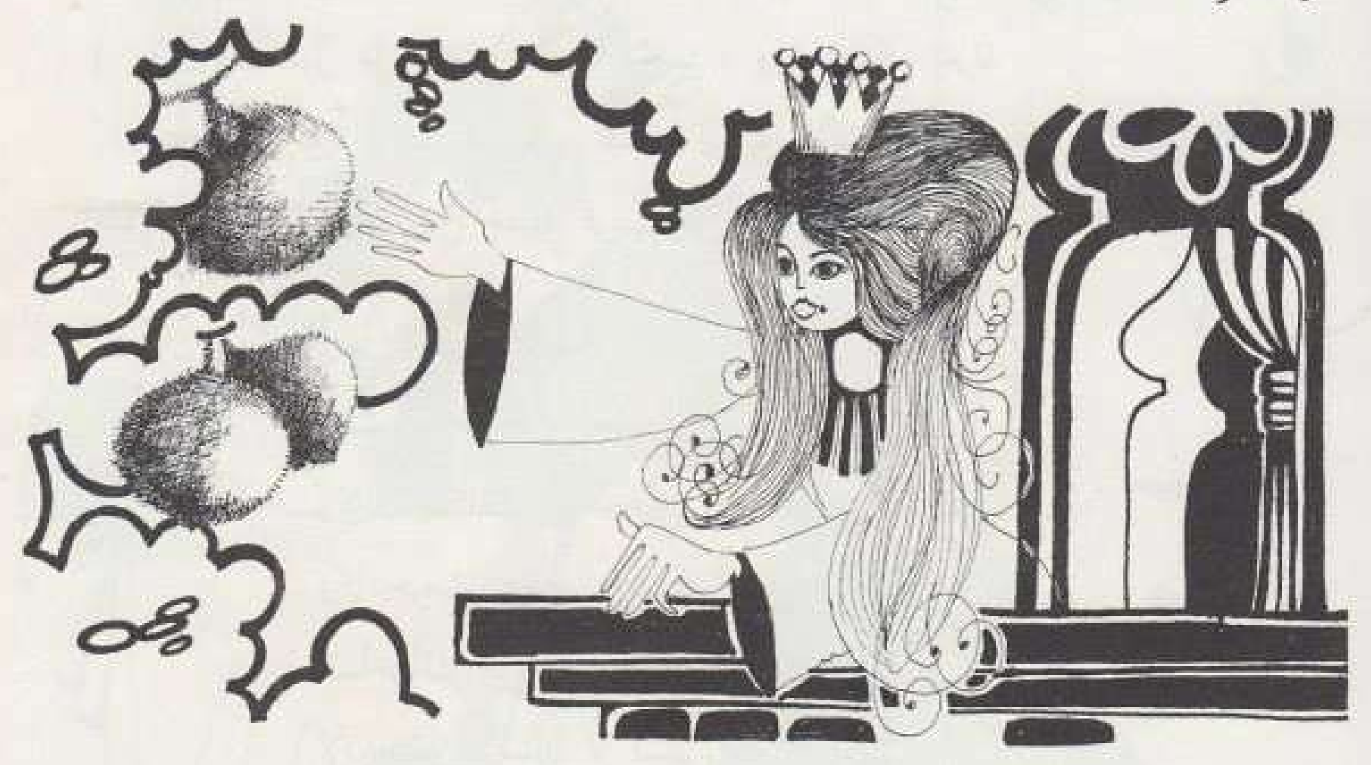
ويظلُّ يرنُّ في أذنيها قولُ الناسِ لها (ابتسمي أيتها الأميرة الغالية ، فابتسامتك تعطينا السعادةَ . . . لأنها تكشفُ عن أسنانِك اللؤلؤ . . .)

وذاتَ صباحٍ ، أطلّتِ الأميرةُ من شباكِ القصرِ ، على البستانِ ، فرأتْ على غصنٍ عالٍ ، من أغصانِ شجرةِ الجميز ، القريبةِ من الشباكِ ، بضعَ ثمراتٍ كبيرةٍ ناضجةٍ ! !

فرحتِ الأميرةُ ، عندما رأت ثمارَ الجميزِ ، فرحاً شديداً . . . لأنها تحبُّ ثمرَ الجميز . . . ولأنَّ موسمَ الجميز كان قد انتهى . . .

استدعت أحدَ الخدم ، وطلبت إليه إحضارَ الثمار التي تفضلها على جميعِ الفواكه . . .

أسرعَ الخادمُ الى الشجرة ، فصعدَ الى أعلاها ، وقطفَ الثمارَ التي طلبتها الأميرةُ ، وأحضَرَها لها . . .



تناولتِ الأميرةُ واحدةً من الثمارِ ، فاذا هي منخورةٌ ! ! وتناولت أُخرى ، فاذا هي منخورةٌ ايضا ! ! كانت كلُّ الثمارِ منخورة ! !

تألمتِ الاميرةُ كثيراً . . . وسألتِ الخادمَ عن السببِ ! ! فقالَ الخادمُ: هناك عشٌّ به عصافيرُ صغيرةٌ في أعلى شجرةِ الجميز ، ولا شكَّ أنَّ العصافيرَ الصغيرةَ ، هي التي تنخرُ الفاكهةَ بمناقيرها .

غضبتِ الأميرةُ غضباً شديداً . . . لقد حَرَمَتها هذه العصافيرُ من أكلِ فاكهةِ الجميزِ التي تُحبُّها . . . والتي انقضى موسمُها . . .

وأمرتِ الخادمَ انْ يعودَ الى الشجرةِ ليتلفَ العشَّ ، وينْزَعَهُ عن الشجرةِ . . . فعلَ الخادمُ ماأمرتهُ به الأميرةُ ، فصعد الى الشجرة ، وأزال العشَّ ، فهوتِ العصافيرُ الصغيرةُ الى الأرض ، وماتت . . .

وعندما عادَ العصفورُ الى عُشِّهِ ، لم يجدْهُ . . . وراحَ يبحثُ عن فراخهِ الصغيرةِ التي تركها في العشِ ، فلم يجدْ أحداً منها ! !

حزن العصفورُ على أولادهِ حزناً شديداً . . . وسألَ شجرةَ الجميز ، فقالت له : إنَّ الأميرةَ أمرتْ بإزالةِ العش ، لأنَّ العصافيرَ الصغارَ أكلتْ ثمارَ الجميزِ ، التي تحبها الأميرةُ . . .

وقف العصفورُ على غصنِ شجرةِ الجميزِ ، وراح يبكي بحرقة . . .

وفتحت الأميرةُ نافذةَ غرفَتِها ، لتسعدَ برؤيةِ الأشجارِ والورود ، وتتمتَّعَ بالنسيمِ العليلِ ، فقفزَ العصفورُ على غصنٍ قريبٍ من نافذةِ الاميرةِ ، وقال لها :

أيتها الأميرةُ القاسية
قتلتِ فراخي من أَجلِ ثمراتِ جميز . . .
وكان بإمكانك أنْ تحصلي على أطيب ثمارِ الدنيا . . .
وكما حرمتِ عصفوراً مسكيناً من فراخهِ
فسأحرمُكِ من أسنانِك اللؤلؤ . . .
لأن فاقدَ الأسنانِ لا يبسم . . .
والذي لا يبسمُ ، سيخسرُ كثيرا . . .

غضبتِ الأميرةُ ، أشدَّ الغضب ، لأن هذا العصفورَ تجرَّأ على تهديدِها ! ! واستدعتِ الخدَمَ ، وأمرتهم أن يطردوا العصفورَ من البستانِ ، وأن يمنعوه من دخولِ بستانِ القصرِ مرةً أخرى . . .

أمضتِ الاميرةُ يومها منزعجةً . . . وأخبرتِ الأميرَ بما قالَهُ لها العصفورُ ! ! فطيَّبَ الأميرُ خاطرَها ، وقال لها (لا تخافي أيتها الأميرة الغالية . . . فلن يستطيعَ عصفورٌ أن يدخلَ بستانَ القصرِ مرةً أُخرى . . .) .



ارتاحتِ الأميرةُ واطمأنَّتْ . . . وقامت الى المرآةِ ، وأعادتِ النظرَ الى أسنانِها ، فرأتها تلمعُ مثل حباتِ اللؤلؤ . . . فقالت في نفسها (كيف صدَّقْتُ ماقاله هذا العصفورُ ؟ ! ! وقصري محاطٌ بالجنودِ والحرسِ ، وزوجي الأميرُ يبسطُ نفوذَهُ على كل هذه البلادِ . . . فهل يستطيعُ عصفورٌ أنْ يتحدَّى زوجي ؟ أو يُلْحِقَ الضررَ بأسناني ؟ ! )

وفي المساء ، ذهبتِ الأميرةُ مع زوجها الأمير إلى حفلةٍ كبيرة ، أقامها رئيسُ الوزراء في قصرِهِ ، واستقبلها الناسُ بالهتافِ والتصفيقِ بحرارةٍ . . . وأمضيا سهرةً رائعةً كانت تسمعُ خلالَها الناسَ يتهامسون قائلين : (ماأجملَ الأميرةَ ! ! وما أحلى ابتسامتَها التي تكشفُ عن أسنانِها ! ! إنَّ أسنانَها تشبهُ اللؤلؤ ! ! ) .

عاد الأميران الى قصرِهما بعد انتهاء السهرةِ . . . كانت الأميرةُ سعيدةً الى درجةٍ كبيرة . . . ودخلت غرفتَها لتخلعَ ثيابَها وترتدي ملابسَ النومِ ، وسمعت نَقْراً على زجاجِ النافذةِ ! ! فالتفَتَتْ . . فإذا بالعصفورِ ! ! ! أسرعتِ الأميرةُ الى العصفورِ لتمسكَ به . . . ولكنَّهُ طارَ بعيداً ، وراحَ يحومُ في الفضاء امامَها . . . ويغنّي :

لقد رقصتِ أيتها الأميرةُ بسعادة . . .
أما أنا . فكنتُ أبكي فراخي . . .
لن تسمعي من يقولُ: ماأجملَ أسنانَكِ اللؤلؤ ! !
لأنَّ أسنانكِ ستسقط . . .
مثلما سقطتْ فراخي الصغارُ من العش . . .

صرختِ الأميرةُ . . . فجاءَ الأميرُ مسرعاً . . . وعندما عرفَ أنَّ العصفورَ عادَ الى تهديدِها ، أمر الحَرَسَ أنْ يطاردوا العصفورَ ، ويصطادوه . . .

عمل الأمير على تهدئة الاميرةِ الغاضبةِ ، وأكدَّ لها أن العصفورَ لن يُفلِتَ من الحراس . . . فزالتْ مخاوفها ، ونامتْ . . .

وفي الصباحِ ، طلبَ الأميرُ القهوةَ ، له وللأميرة ، كما يفعلُ كُلَّ صباحٍ ، وجاء الخادمُ بها ، وما أنِ ارتشفتِ الأميرةُ قليلاً منها ، حتى صرخَتْ صرخةً تدلُّ على شدةِ ألمِها ! وقال لها

الأمير «لعلَّكِ ارتشفتِ القهوةَ ساخنةً ؟ . والسخونةُ الشديدةُ تؤذي الأسنانَ . . لا تخافي أيتها الأميرة الغالية . . .»

انتظرتِ الأميرةُ حتى بردت القهوةُ ، ثم حاولتْ أن ترتشفَ منها ، فإذا بها تصرخُ ثانيةً من شدةِ الألم ! !

وقالتِ الأميرةُ وهي تمسحُ دمعةً نزلتْ على خدِّها: «إنَّ لعنةَ العصفورِ قد حلَّتْ بأسناني ! ! إنني أشعرُ بألمٍ شديدٍ أيُّها الأمير !» .

انزعجَ الأميرُ وطلبَ طبيبَ الأسنانِ ، فحضرَ على عجلٍ ، وفحصَ أسنانَ الأميرةِ ، فلمْ يجدْ بها تلفاً . . . فأعطاها حبوباً مُهدِئة . . .

اطمأنَّ الأميرُ ، وهدأتِ الأميرةُ . وقامَ الخدمُ بوضعِ ستائرَ ثقيلةٍ على النافذةِ المُطِلَّةِ على البستان . . .

مضى يومان ، والأميرةُ لا ترفعُ الستائرَ عن النافذة . . . وفي اليومِ الثالثِ قال لها الأمير (لقد أحضرتُ لكِ مُهْرَةً أصيلة لا مثيلَ لها بين خيولنا ! ! فاركبيها ، واذهبي بها لرياضتِكِ الصباحيةِ في الغابةِ . . .) .

فرحتِ الأميرة كثيراً . . وبخاصة أنها لم تَقُمْ برياضتِها الصباحيةِ منذ أنْ هدَّدَها العصفورُ بفقدِ أسنانِها . . . وقررت أن تنزلَ الى الإسطبلِ لتمتطي المهرةَ الجديدةَ الأصيلة . . .

أحضر الخادمُ للأميرين عصيرَ الليمونِ الطازجِ المزوجِ بالسكر ، فتناولتِ الأميرةُ الكأسَ ، وارتشفتْ قليلاً منه ، فإذا بها تزيحُ الكأسَ عن فمِها بيدٍ مرتجفةٍ ! ! وتطلقُ صرخةً تدلُّ على مقدارِ ألمِها ! !

غضبَ الأميرُ غضباً شديداً . . . واستدعى طبيبَ الأسنانِ ، فحضرَ على عجلٍ ، وأعادَ فحصَ أسنانِ الأميرةِ ، ولم يجد بها تلفاً ! ! فأعطاها حقنةً مهدئةً ، وطلب اليها أنْ تستريح في فراشِها . . .

أمضتِ الأميرةُ بضعةَ أيام في الفراش . . وكان كلَّما ذهبَ تأثيرُ الدواءِ المُهَدِّئ ، أعطاها الطبيبُ حقنةً ثانية . . . فتعودُ للنومِ من جديد . . .

وصارَ الأميرُ يجلسُ الى جانبِ الأميرةِ النائمةِ معظمَ الوقت . . . إنَّهُ يشعرُ بالحزنِ الشديدِ لما أصابَ الأميرةَ الحلوةَ الغالية . . .

وقالتِ الأميرةُ للأمير ، وقد صحتْ من تأثيرِ المُخدِّرِ (لقد سبّبتُ لكَ المتاعبَ أيُّها الأمير فصرتَ لا تذهبُ الى ديوانِ الإمارةِ بسببي ، وهذا لا يجوزُ أبدا ) .

وقال لها الاميرُ «سأبقى الى جانبكِ يا أميرتي الغالية ، الى أنْ تغادري الفراشَ وأنتِ على أحسنِ حال . . .»

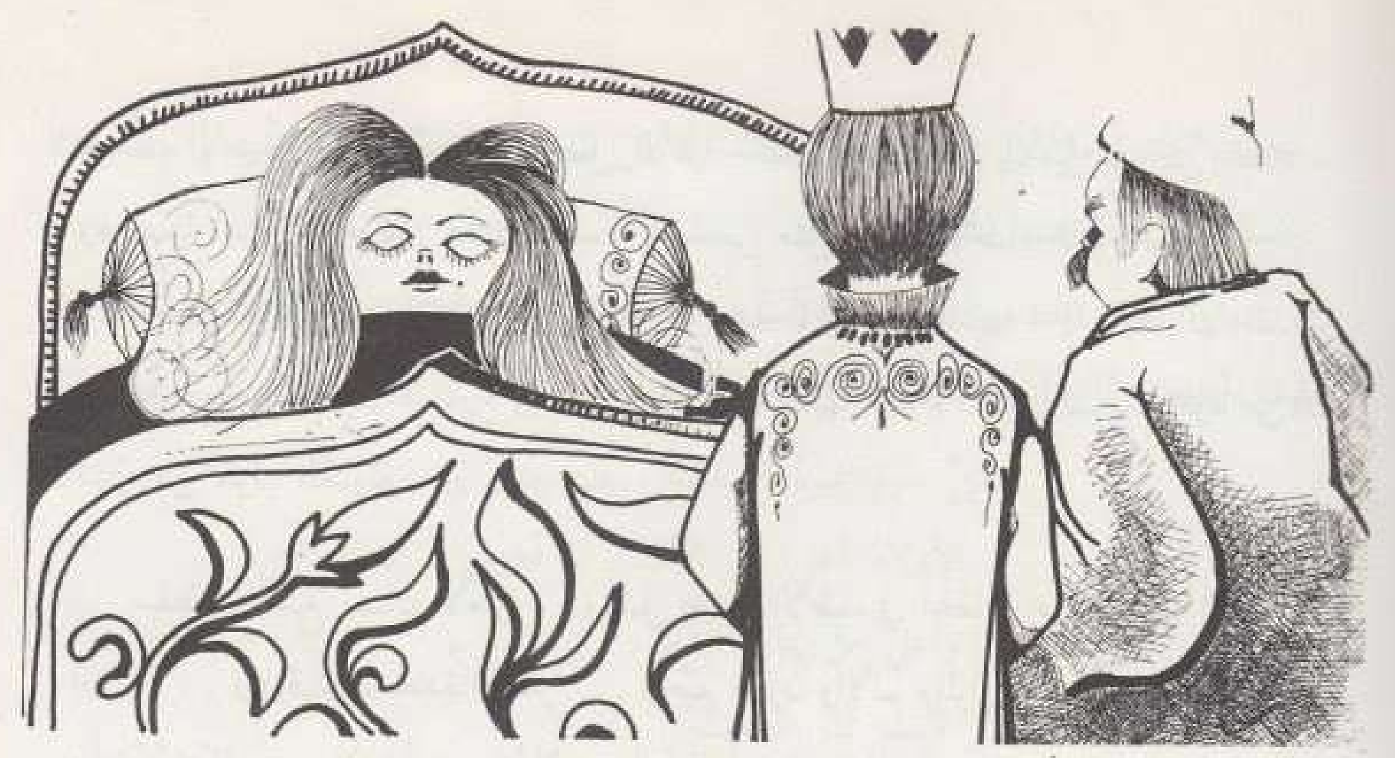
تحامَلَتِ الاميرةُ على نفسِها ، وقالت له «إنني اليومَ أحسنُ حالاً . . . قُمْ الى الديوانِ أيُّها الأميرُ وانظرْ في أمورِ الناسِ كعادتِكَ ، وسأقومُ أنا لأقرأَ كتاباً بدأتُ قراءتَهُ قبلاً . . .»

قامَ الأميرُ ، ونزلَ الى ديوانِهِ بخطىً ثقيلة . . . وقامتِ الأميرةُ ، وحملتِ الكتابَ وراحتْ تقرأ . . .

واذا بالعصفورِ ، يقفُ فوقَ المكتبةِ ، ويغنّي :

أعطاكِ الطبيبُ مُهدّئاً فنمتِ
أمّا أنا ، فلم أجدْ طبيباً يُهدّئُ آلامي . . .
ليس هناك ألمٌ يشبه ألمَ فقدِ الأولاد . . .
إلاّ ألمَ الأسنان ، إلاّ فَقْدَ الأسنان . . .





صرختِ الأميرةُ ، ورمتِ الكتابَ من يدها ، وتجمّع الخدمُ ، وجاء الحرس ولكنَّ العصفورَ كان قد اختنق ! !

حملوا الأميرةَ الى الفراشِ وقد غابتْ عن الوعيِ . . . وأخبروا الأميرَ بما حدث ، فترك الديوانَ ، وجاء ومعه الطبيب ، ونصح الطبيبُ بالاستعانة بأطباء متخصصينَ في طبِ الأعصابِ وأطبّاءِ الصحة ، فاستدعاهم الأميرُ على الفور ، وبذلوا مجهوداً كبيراً ، الى أنْ استعادتِ الأميرةُ وَعْيها . . .

وأمَرَ الأميرُ بنقلِ الأميرةِ مِن القصر الذي يقيمون فيه ، واختار لاقامَتِها قصراً آخرَ من قصورهِ الفخمة . . .

انقضى النهارُ والاميرُ يلازِمُ الأميرةَ في القصرِ الجديد ، ويحاولُ أنْ يبعدَها عن ذكرياتِها التي تُعذِّبها . . . حتى انتصفَ الليلُ ، فنامتْ . . .

وفي الصباحِ ، صَحَتِ الأميرةُ من نومِها ، فإذا على فراشِها حبَّةُ لؤلؤٍ تلمعُ ! ! تناولت حبَّةَ اللؤلؤِ مُتَعَجِّبَةً ! ! فإذا هي أحدُ أسنانِها ، وقد سقط وهي نائمة ! !

راحتِ الاميرةُ تبكي وتنتحبُ . . . وذُهِلَ الأميرُ ! ! وكانَ يعتقدُ أنَّ رحيلَهم عن القصرِ سيضَعُ حَدّاً لانتقامِ العصفور . . .

وقال للاميرةِ «لا تقلقي يا عزيزتي ، سأُحضِرُ لكِ أطباء ممتازين ، ملأتْ شهرتُهُمُ الدنيا ! !» .

فرحتِ الأميرةُ واطمأنَّتْ . . . ووصل الأطباءُ الذينَ استدعاهم الأميرُ من كلِّ البلاد ، وفحصوا أسنانَ الأميرةِ ، فكانت نتيجةُ الفحصِ مثلَ نتيجةِ الأطباءِ الذين سبقوهم . . .

وصارتِ الأميرةُ جمان تجدُ كلَّ صباحٍ ، حبةَ لؤلؤٍ على فراشِها ! ! وتجدُ أنّها فقدتْ واحداً من أسنانِها ! ! فيسارعُ زوجُها الأميرُ الى إعطائِها الدواءَ المهدِّئَ لتنام ، خوفاً من أنْ تنهارَ من هولِ الكارثة . . .

سقطت جميعُ أسنانِ الأميرة . . وفشل جميعُ الأطباء في الحفاظِ على أسنانِها التي تشبهُ اللؤلؤ . . . وفارقتِ السعادةُ القصر . . . وخيَّمَ الحزنُ والألمُ والمرارة . . . وصمتتِ الأميرةُ ولم تَعُدْ تتكلم . . . لأنها أصبحتْ لا تستطيعُ لفظَ بعضِ الحروفِ ، بسببِ فَقْدِ أسنانِها . . . وصارتْ تُمضي معظم أوقاتِها باكية . . .

وقال لها الاميرُ يوماً «لا تحزني يا أميرتي الغالية ، سأوصي لكِ على طاقمِ أسنانٍ لا يختلف أبداً عن أسنانك اللؤلؤ . . . فلا يستطيعُ أحدٌ أنْ يُفرِّقَ بينَ أسنانِك الطبيعيةِ وأسنانِك الصناعية . . .»

إنزوَتِ الأميرةُ في القصرِ ، وانقطعتْ عن الظهورِ أمامَ الناسِ بانتظارِ الأسنانِ الصناعية . . . فلم يكنْ أمامَها إلاَّ أنْ تقبلَ بالأمرِ الواقع . . .
وحضر الخبراءُ بصناعةِ الأسنان ، وصنعوا للأميرة طاقمَ أسنان لا يختلفُ أبداً عن أسنانِها اللؤلؤ . . . فوضعتْهُ الأميرةُ في فمِها ، وزالَ حزنُها ، وارتاحتْ نفسُها . . . وفرح الأميرُ فرحاً عظيماً . . . لأنَّ الاميرةَ قد تخلصتْ من أحزانِها . . . وعادتِ الابتسامةُ الى وجهها . وأقامَ حفلةً كبرى فرحاً بزوالِ المحنةِ عن الأميرةِ دعا اليها الوزراءَ والأعيانَ والوجهاءَ وزوجاتِهمْ ، وأمضَوْا سهرةً رائعة ، لمْ يتمتَّعوا بمثلِها منذُ مدةٍ طويلة . . . وبعد انتهاءِ السهرةِ ، دخلتِ الأميرةُ الى حجرتِها . وراحتْ تُمعِنُ النظرَ الى وجهِها الذي كان بالأمسِ قبيحاً ! ! وحمدتِ الله أن عاد اليها جمالُها ، بعد أنْ حلَّتِ الأسنانُ الصِّناعيةُ مكانَ الأسنانِ الطبيعية ، وهي مثلها جمالاً وبريقا . . . .

خلعتِ الأميرةُ ملابسَ السهرةِ ، وارتدتْ ملابسَ النومِ ، وتصوَّرَتْ أنّها ستنامُ نوماً هادئاً عميقاً لمْ تنعمْ بمثلِه منذُ شهر . . .

وإذا بغناء العصفورِ يَصِلُ الى أسماعِها من قلبِ تمثالٍ بديعٍ في ركنِ الغرفة ! !

وقال العصفورُ يغنّي :

مَنْ حَرَمَ غيرَهُ السعادةَ ، فلنْ ينعمَ بها . . .

الأولادُ أغلى من الأسنانِ يا أميرتي . . .

وأغلى من ثمارِ الجميز . . .

لأنهم ثمارُ القلوب . . .



صرختِ الأميرة . . . فاذا بالعصفورِ يقفزُ من قلبِ التمثالِ البديع ، ويهجمُ على فمِها الذي فتحتْه وهي تصرُخُ . . . ويخطفُ طاقمَ الأسنانِ من فمِها ، ويطيرُ بعيداً . . .

وجاءَ الأميرُ على صرخةِ الأميرة . . . واستدعى الأطباءَ ليسعفوا الأميرةَ الغالية . . . وأسعفوها ، إلى أنْ هدأَتْ ثائرتُها . . . وقال لها الأميرُ «سأوصي الخبراء بِصُنْعِ طاقم أسنانٍ جديدٍ لكِ ، يا أميرتي الغالية ، وسيعودُ لكِ جمالُكِ وسحرُك . . .»

إنطوتِ الأميرةُ على نفسِها . وعادتْ الى الصمتِ ثانيةً . . . وكانت كلَّما وقعَتْ عينُها على المرآة ، ورأتْ وجهَها الذي أصبحَ بلا أسنان . بكت بكاءً مُرّاً . . . وأمر الأميرُ بإخراجِ كلِّ المرايا من القصرِ . . . وإغلاقِ كلِّ الشُرُفاتِ والنوافذ . . . وإسدالِ الستائرِ الثقيلةِ عليها ، لئلاَّ يعودَ العصفورُ ويدخلَ القصر . . .

وشاركَ الأميرُ الأميرةَ حُزنَها . . . وانعكسَ حُزْنُها على جميع مَن في القصر . . . الموظفين والحرسِ والخدم . . . إنَّهم لا يعرفونَ سببَ حُزنِ الأميرِ والأميرة . . . ولكنهم حَزِنوا لحزنِها . . . ولأنَّ السعادةَ قد خرجتْ من القصرِ . . . ولم تدخُلْهُ منذُ مدةٍ طويلة . . .

وجاء ، مرةً ، أحدُ الحرسِ الى الأميرةِ وقالَ لها (ياسيدتي الأميرة ، لقد تجمَّعَ على بابِ القصرِ أناسٌ كثيرون . . . وهم يستأذنونَكِ في الدخولِ ، لأنَّ غيابَكِ عنهم طال . . . وليس من عادتكِ أنْ تحرميهِمْ من لقائِك . . . فإمّا أنْ تأْذَني لهم بالدخول ، وإمّا أنْ تخرجي اليهم كما جرتِ العادة . . .)

وكان من عادةِ الأميرةِ أنْ تستقبلَ الناسَ في قصرِها مرةً كل شهر . . . فتسألُهُمْ عن أحوالِهم ، وتسمعُ شكاواهم ، وتقدِّمُ لهم المساعدة . . .

وكان من عادتِها أيضاً أنْ تمرَّ بالميادينِ والشوارع بعربتِها فَيَتَجَمَّعُ النَّاسُ على جانبي طريقِها يهتفونَ لها ويسعدونَ بابتسامتِها الرائعة . . .

وقد مَرَّ الموعدُ الذي تستقبِلُ فيه الناس . ولمْ تفتحْ أبوابَ القصرِ لاستقبالِهِمْ ! ! كما مضت مدةٌ طويلة . ولم تنزِلِ الأميرةُ الى الميادينِ والشوارعِ كعادتِها . . .

ولمْ تستطعِ الأميرةُ أنْ تُطْلِعَ الخادمَ على ماأصابَها . . . ولمْ تُعْطِهِ الإذنَ لفتحِ أبوابِ القصرِ ليدخلَ الناس . . . لأنَّها لا تريدُ أنْ يرى أحدٌ وجهَها المشوَّه . . . ثم إنَّها لا تستطيعُ الكلامَ من غيرِ أسنان . . . ولا تستطيعُ أنْ تبتسمَ لهم . . . وطالَ انتظارُ الناسِ على بابِ القصر ! ! فراحوا يهتفونَ هتافاتٍ تهزُّ الأرجاء ! !

أخرجي إلينا أيَّتُها الأميرةُ الطيبة

او افتحي لنا أبوابَ القصرِ لندخل

لا تسمحي للقطيعةِ أنْ تدخُلَ بيننا

ولا تقتلي في نفوسِنا الذكرياتِ الحلوة . . .



ووجدتِ الأميرةُ نفسَها مضطرَّةً لعملِ شيءٍ . . . فكَتَبَتْ ورقةً للخادمِ وأشارتْ إليهِ أنْ يحملَها الى الناس ، وقد جاءَ فيها :

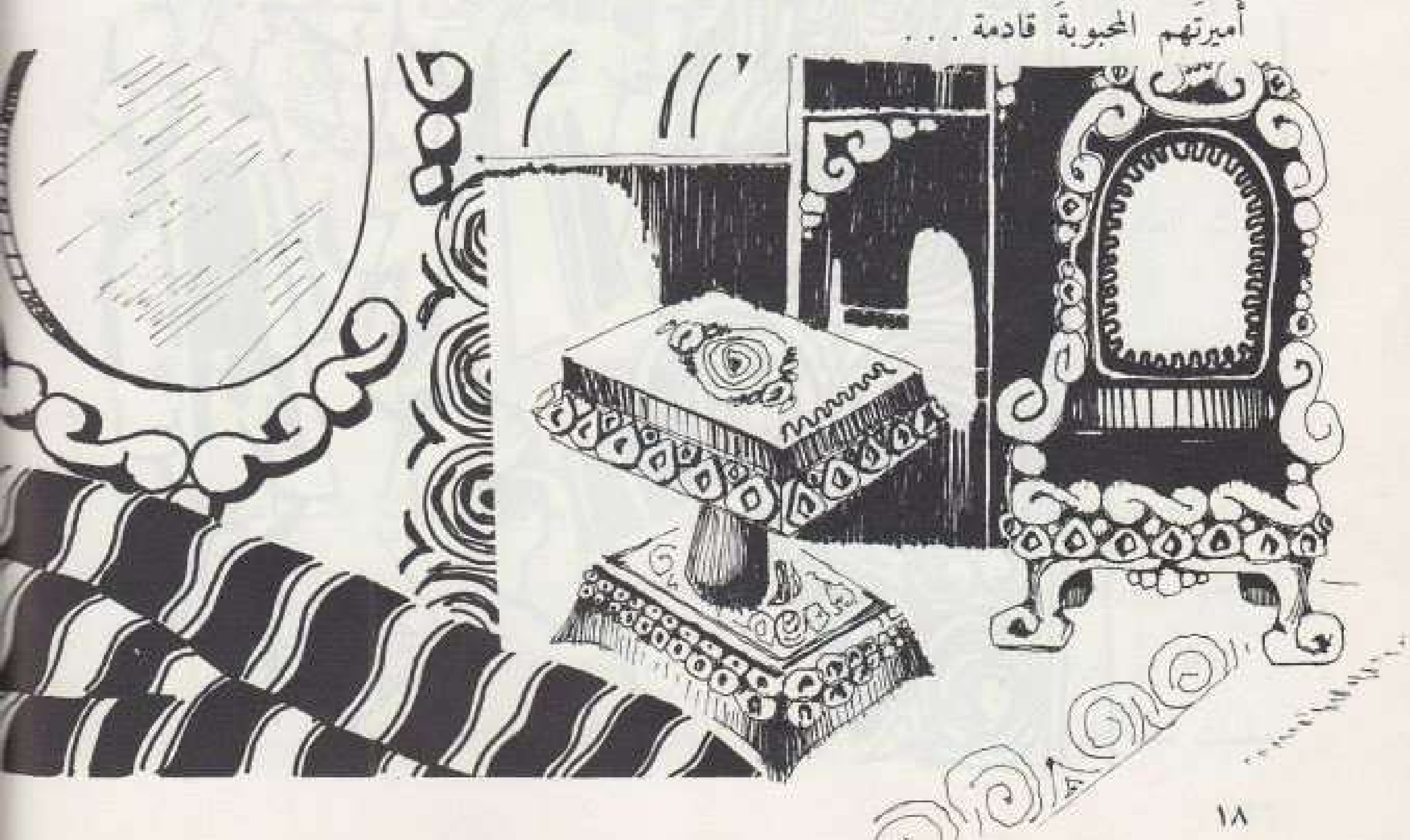
«إنني مَريضةٌ . . . وأعتذرُ عن مقابلتِكم . . . وسأفتحُ لكم أبوابَ القصرِ عندما أُشفى . . . فاقبلوا عذري» .

قرأَ الناسُ ماجاءَ بالورقة ، فقلقوا على صحةِ الأميرة . . . وقالَ بعضُهم «نعودُ بعدَ أنْ تشفى الأميرةُ الغالية» .

ولكنَّ آخرينَ قالوا «بل نختارُ ممثِّلينَ عنّا ، يدخلونَ لعيادةِ الأميرةِ ، ويبلغونَها قلقَنا على صحَّتِها . . . وتمنِّياتِنا لها بالشفاءِ العاجلِ . .» .

ووافقَ الجميعُ على هذا الرأي . . . وطلبوا الى الخادمِ إبلاغَهُ للأميرة . . . انزعجتِ الأميرةُ كثيراً . . . لأنَّها ، إنْ مَنَعَتِ الممثلينَ الذينَ سيختارونهم من الدخولِ ، فسيُفَسِّرونَ ذلكَ تفسيراً خاطئاً . . . وإنْ هي سَمَحَتْ لهم بالدخول ، فسيعرفونَ ماأصابَها . . .

وقرَّرَتْ أنْ تخرجَ لهم . . . وأنْ تحيِّيهمْ بأنحناءةٍ من رأسِها ، دونَ أنْ تتكلمَ . . . تحاملت على نفسِها ، وسارتْ الى الجمهورِ المحتشدِ على بابِ القصر . . . وعَلَتْ هتافاتُهم عندما رأَوْا أميرتَهم المحبوبةَ قادمة . . .



وقفتِ الأميرةُ بعيداً . . . وانحنت محيّيةَ . . . واستغربَ الناسُ هذه الطريقةَ التي لم يفهموها ! ! وراحوا يتبادلونَ نظراتِ التساؤلِ والدهشة ! . . . ظلّتِ الأميرةُ واقفة . . . لا تقتربُ . . . ولا تتكلمُ . . . حتى ولم تبتسمْ ! !

وصاحَ أحدُهمْ بالناسِ «لِنَعُدْ أيها الناسُ من حيث أتينا . . .» وبدأوا ينصرفون . . .

وصلَ الى سمعِ الأميرةِ ماكان يقولُهُ الناسُ وهم ينصرفون . . . سمعتْ من يقولُ «لماذا تتعالى علينا ؟ ألَسْنا نحنُ الذينَ أوصلناهم الى هذه المنزلة ؟» وسمعت من يقول «كانتِ الأميرةُ جميلةً . لأنها كانت متواضعةً . . . وكانت فاتنةً ساحرةً لأنَّها كانت تبتسم . . . ولكنها فقدتْ كلَّ جمالِها وسحرِها ، لِأَنها لم تَعُدْ متواضعة . . . ولا باسمة . . .» وسمعتْ مَن يقولُ «أُتركوها وشأنَها . . . فالمغرورُ يَخسَرُ حُبَّ الناسِ وتأييدَهم . . . ولن نهتمَّ بها . . . ولن نؤيّدَها بعدَ اليوم» . . .

عادتِ الأميرةُ الى القصر ، وألقتْ بنفسِها على الفراش ، وهي أشدُّ ماتكونُ حُزْناً وتعاسة . . . لقد خسرتْ كلَّ شيٍ ! ! كلَّ شيٍ ! ! جمالَها ! ! وسعادتَها ! ! وحبَّ الناس ! ! واحترامَهم ! !



ورجعَ الأميرُ من الديوانِ ، فوجدَ الأميرةَ على أسوإ حال ! ! فأرسلَ الى الخبراء يَحُثُّهُمْ على الإسراعِ في عملِ طاقمِ أسنانٍ جديدٍ للأميرة . . .

بعد بضعةِ أيامٍ من العذابِ والألم ، أحضرَ الأميرُ طاقمَ الأسنانِ الجديدِ للأميرة . . . وطلبَ اليها أنْ تجعلَ وصيفتَها تلازمُها دائماً . . . حتى إذا أرادت أنْ تستبدلَ ملابسَها بملابسِ النوم ، فلْتخلَعْ أولاً طاقمَ الأسنانِ وتَضَعْهُ في الخزانةِ الحديدية . . . مرَّ أسبوعٌ والأميرانِ ينعمانِ بالسَّعادةِ ، وصارتِ الأميرةُ تستدعي وصيفتَها ، لتكونَ الى جانبِها إلى أن يعودَ الأميرُ من ديوانِه . . . وضاعفتِ الأميرةُ الحذرَ ، فصارت تحفظُ طاقمَ الأسنانِ الجديدِ في الخزانةِ الحديدية ، اذا اضطُرَّتْ الى خلعِهِ من فمِها . . . وذاتَ صباح ، حَنَّتِ الأميرةُ الى رياضتِها الصباحيةِ ، وبخاصَّة أنها لم تركبِ المهرةَ الأصيلةَ الجديدةَ بعد . . .

لبستْ ثيابَ الركوبِ بسرعةٍ ، وقالتْ للأميرِ «ها أنا جاهزة أيّها الأمير . . . وأشعرُ أنّي استعدتُ نشاطي وحيَويَّتي . . . »

فرحَ الأميرُ فرحاً شديداً ، وأصدرَ تعليماتِهِ الى الخدمِ ليملأوا قاعاتِ القصر بالورودِ والرياحين . . . وأمسكَ بيدِ الأميرةِ السعيدة ، ونزلا معاً الى الإسطبل . . . امتطتِ الأميرةُ المهرةَ الأصيلةَ الجديدةَ ، وامتطى الأميرُ صهوةَ حصانِهِ الذي يفضِّلُه . . . وتوغلا في الغابةِ القريبةِ من القصر . . .

تسابقا في الغابةِ بسعادة . . . وضحكا طويلاً . . . وترجَّلا فترةً قصيرةً ، قطفتْ خلالها الأميرةُ بعضَ الزهورِ التي تُحبُّها . . . ثم عادا الى القصرِ الذي امتلأ بالزّينات والورودِ والرياحين . . . والدُنيا لا تَسَعُها لِشِدَّةِ فرحِها . . .

تناولا الغداءَ الفخمَ الذي أعَدَّهُ طاهي القصر . . . ثم جلسا في الشرفةِ يتبادلانِ الأحاديثَ الحلوة . . .

وقالتِ الأميرةُ والفرحُ يغمرها «لقد عادتِ السعادةُ لنا أيّها الأمير ! أشْعُرُ أنّني في عيد . . . » .

ضحكَ الأميرُ بسعادة ، وقال لَها «صَدّقيني أيتها الأميرة الغالية ، إنَّ هذه الأسنانَ لا

تختلفُ عن أسنانكِ الطبيعية في شئ ! ! بل إنّك تبدين أجملَ مِمّا كُنْتِ ! ! فما عليكِ إلاّ أنْ تكوني دائماً معي . . . أو معَ الوصيفة . . . ضاعفي الحذرَ ياعزيزتي ولا تُهملي . . . وستنتهي المشاكل . . . هذا أمرٌ سهل . . . أليس كذلك ؟ »

وإذا بالأميرةِ تعطسُ عطسةً شديدةً ، أطارتْ طاقمَ الأسنانِ من فمِها ! ! وأسرعَ الأمير يبحثُ عنه ليُعيدَهُ اليها ، ولمْ يجدْهُ ! !

بحثتِ الأميرةُ أيضاً عن طاقمِ الأسنان ، وتعاونتْ مع الأميرِ في البحث . . . فلم يجداه ! ! نادى الأميرُ الخدَمَ وكلّفَهُم بالبحث . . . وبحثوا تحتَ المقاعدِ ، وفوقَها ! ! وبينَ المناضِد وتحتَ التماثيلِ ! ! ورفعوا السجادَ عن الأرضِ ! ! دون جدوى ! .

وصاحَ الأمير بعصبية «كفّوا عن البحث . . . ليذهبْ هذا الطاقَمُ الى الجحيم ! !» .

أمسَكَ بالأميرةِ الذاهلةِ من يدِها ، ودفعَها أمامَهُ الى غرفةِ الجلوس . . . وقالَ لها «لا تحزني أيّتها الأميرةُ ، فقد صنعَ الخبراءُ العديدَ من أطقُمِ الأسنانِ لكِ ، حتى اذا فُقِدَ أحدها ، أحضرنا غيرَه . . . حتى لو فقدتِ كلَّ يومٍ طاقماً . . . اعتمدي عليَّ ايّتها الأميرةُ الغالية . . .» .

هدأتِ الأميرة . . . وجلستْ على مقعدٍ قريب . . . وأسرعَ الأميرُ الى الخزانةِ الحديدية وكان قد وضعَ فيها العديدَ من أطقُمِ الأسنانِ التي صنعها الخبراء . . .

فتحَ الأميرُ الخزانةَ على عجل . . . ووقف أمامَها مصعوقاً ! ! لَمْ يجدْ في الخزانة طاقماً واحداً مع أنَّ مفتاحَ الخزانةِ الحديديةِ معه ! ! ولا يستطيعُ أحدٌ فتحَها غيرُه ! !

راحتِ الأميرةُ تناشدُ الأميرَ إحضارَ طاقمِ الأسنانِ الذي وعدها به . . . ولم يعرف الأميرُ كيفَ يخبرها بفقدِ جميعِ أطقُمِ الأسنانِ من الخزانة ! ! ولكنّهُ فكَّر . . . وقال لها «يظهرُ أنّني لم أحتفظْ بها في هذه الخزانةِ أيّتها الأميرة الغالية ! ! ولابُدَّ أنّني أودعتها خزانتي في الديوان ! ! إنّني أصبحتُ كثيرَ النسيانِ ياأميرتي . . .»

فقالتِ الأميرةُ برجاء «أرجوكَ أنْ تحضرها معك ، عندما تعود . . . أرجوكَ ياعزيزي . . .» .

نزلَ الأميرُ الى الديوانِ مسرعاً . . . وطلب الى الخبراء صُنْعَ أطقمَ جديدة . . . وبالسرعةِ الممكنة . . . واخبروه أنَّهُ لا يمكنُ إنجازَ طاقمِ أسنانٍ واحد ، قبل ثلاثةِ أيامٍ على الأقل . . .

وعاد الأميرُ في المساءِ ، ولم يكنْ معه طاقمُ أسنانٍ للأميرة . . . وحزنتِ الأميرةُ ، وقالتْ للأميرِ «لاشكَّ أنكَ مَلَلْتَ هذا الوضعَ أيها الأمير . . . إنني أرهقتُكَ ، وسبَّبتُ لكَ المتاعب . . .» .

أكدَّ لها الأميرُ أنَّهُ سعيدٌ بالوقوفِ الى جانبِها . . . وأنَّهُ لا يفكرُ إلّا بأمرِها . . . وقال لها «مفتاحُ الخزانةِ في الديوانِ ضائع . . . وسأُحضرُ لَكِ طاقَمَ الأسنانِ حالما أجدُ المفتاح . . .» .

لم يستطعْ أنْ يخبرها بالحقيقة . . . لأنَّ اليأسَ سيقتلُها إنْ هي عرفت . . . كما أنَّهُ لا يستطيعُ أنْ يخبرَها أنها لن تحصلَ على طاقمِ أسنانٍ جديدٍ قبلَ مرورِ ثلاثةِ أيام . . . لذلك راحَ يعلِّلُها بالأملِ ، رحمةً بها . . .

أمضتِ الأميرةُ الأيامَ الثلاثةَ وكأنَّها ثلاثةُ أعوام ! ! وقال لها الأميرُ في صباحِ اليومِ الرابعِ «بُشراكِ ياأميرتي الغالية . . . لقد وجدتُ مفتاحَ خزانةِ الديوان . . . وسأحضرُ لكِ طاقَمَ الأسنانِ عند عودتي . . .» .

فرحتِ الأميرةُ فرحاً شديداً . . . وقامت تُشيِّعُ الأميرَ الى بابِ القصر . . . ثم عادتْ لتُكمِلَ قراءةَ كِتابٍ أعجبَها . . . وتنظرَ كلَّ فترةٍ الى ساعتِها ، تَعُدُّ مُضِيَّ الوقتِ بالدقائقِ والثواني . . .

ولاحَ لها الأميرُ قادِماً من الديوان . . . رأتْهُ من نافذةِ الغرفة . . . فأسرعت تستقبلُهُ على الباب . . .

دخل الأمير ضاحكاً . . . وبيدِهِ عُلبةٌ كبيرة . . . وأرادتْ أنْ تتناولها منه ، فلم يسمحْ لها بذلك . . . وقال لها «انتظري أيتها الأميرةُ الغالية ، سأُعطيكِ طاقماً ، وأَحفظُ الباقي في الخزانة . . .» .

أسرعَ الأميرُ الى النوافذِ ، وراحَ يغلقُها ، ويسدلُ عليها الستائرَ ، وأسرعتِ الأميرةُ تقفلُ الأبوابَ بالمفاتيح . . . ثم وضع الأميرُ العلبةَ التي يحملها على المنضدةِ ، وفتحها . . .

ورأتِ الأميرةُ كميةً كبيرةً من أطقمِ الأسنان ! ! فصاحتْ بفرحٍ ( شكراً يا أميري الغالي . . . لن تنفدَ هذه الكميةُ ، حتى ولو خسرتُ كلَّ يومٍ طاقماً ! ! أيها الأميرُ العظيمُ النبيل . . . ما أعظمَكَ ! ! ! وما أكبرَ قلبَك ! ! )



فَتحَ الأميرُ الخزانةَ الحديديةَ وأوْدَعَ أطقمَ الأسنانِ فيها ، بعد أن أعطى الأميرةَ طاقماً منها . . ثم أقفلَ الخزانةَ بالمفتاحِ ، ونادى أحدَ الحرسِ ، وقالَ لهُ. سيكونُ عَمَلُكَ حراسة هذه الخزانة . . . بالتناوبِ مع حارسٍ آخرَ تختاره . . . وإيّاك أنْ تتركَ مكانَكَ في الحراسةِ ، إلاّ بعدَ أنْ يأتي الحارسُ الآخر . . . وأنتما مسؤولانِ اذا عبثَ أحدٌ في الخزانة . . . أتَفْهَمُ ما أقولُ أيّها الحارس ؟ ؟

فقالَ الحارسُ:( سمعاً وطاعةً يا سيدي . . . سأبقى في مكاني هذا ، إلى أنْ أُسلّمَ حراسة الخزانةِ الى زميلي . . . فَثِقْ بنا أيّها الأمير . . . واعتمِدْ علينا . . .)

خرج الحارسُ ، وغابَ قليلاً ، ثم عادَ ، ومعَهُ حارسٌ آخر ، قويُّ العضلاتِ ، خفيفُ الحركةِ ، وقالَ الحارسانِ للأميرِ ( تأكّدْ ياسيدي الأميرُ أنَّ أحداً لنْ يستطيعَ الأقترابَ من الخزانة . . .)

وقالَ لهما الأميرُ ( وإذا رأيتما عصفوراً ، فطارِداه ، واصطاداه ، ولو ابتعدَ الى آخرِ الدنيا ! !)

وقال أحدُهما للآخرِ ، بعد أنْ خرجَ الأميرُ ( هل يُعلِنُ أميرُنا الحربَ على العصافيرِ؟ ! !) ضحكَ الحارس الثاني ، وقال ( لا شكَّ أنّه يعني أنْ نهتمَّ اهتماماً شديداً بالحراسة . . . أمّا طلبُهُ مطارَدَةَ العصفورِ الى آخرِ الدنيا ، فليس أكثرَ من مِثال . . . إنني أتصورُ أنّ في الخزانةِ سرّاً خطيراً ، لا يريدُ الأميرُ أنْ يَطّلِعَ عليه أحد ! !)

وضعتِ الأميرةُ طاقَمَ الأسنانِ في فمِها . . . وراحتْ تتأملُ وجهَها في المرآة . . . فاطمأنَّ قلبُها . . . وارتاحتْ نفسُها . . .

خرجَ الأميرُ الى ديوانهِ ، هادئَ البالِ ، بعد أنْ أوصى الوصيفةَ بالبقاءِ الى جانبِ الأميرةِ ، وعدمَ تركِها وحيدةً ، مهما كانتِ الأسباب . . .

تحدثتِ الأميرةُ الى الوصيفةِ حديثاً فيه دعابة . . . وفيه مرح . . . كانت محتاجةً الى مناسبةٍ تتحدث فيها . . . لقد صمتَتْ طويلاً . . . وطويلاً جداً . . . كانت لا تتكلّمُ في كلّ الأوقاتِ التي يخلو بها فمُها من الأسنان . . . لقد غدا الصمتُ شيئاً رهيباً بالنسبة لها ! !

وقالتِ الأميرةُ للوصيفةُ ( أُريدُ أَنْ أَنزل الى الميادينِ والشوارعِ ، كعادتي ، وستذهبين معي أَيَّتها الوصيفة . . هيا . . . )

أَخرجَ السائقُ العربةَ الفخمةَ الجديدةَ ، فاستقلَّتْها الأميرةُ والوصيفةُ ، وقالتِ الأميرةُ للسائق ( إذهبْ بنا في جولةٍ ، أَيُّها السائق . جولةٍ مثلَ الجَوْلاتِ التي كنتَ تقومُ بها من قبل . . . أُقصدْ بنا الميادينَ والشوارعَ الكبيرةَ . )

انطلقتِ العربةُ من القصرِ ، ولكنَّ الناسَ الذين كانوا يتواجدونَ على الطريقِ ، كانوا يديرونَ ظهورَهم ، عندما يرَوْنَ عربةَ الأَميرة ! ! ولم يتجمَّعوا على الطريقِ للهتافِ للأَميرة ! ! حتى ولمْ يصفقوا لها ! !

استغربتِ الوصيفةُ ما ترى ! ! ولكنَّ الأميرةَ كانتْ تعرفُ سببَ إعراضِ الناسِ ونفورِهم . . ولم تخبرِ الأميرةُ وصيفتَها بالسبب . . . لأنَّها لا تريدُ أن يعرفَ أحدٌ شيئاً عن محنتِها . . . ولا تريدُ أنْ يعرفَ أحدٌ أنَّ الأسنانَ في فمِها صناعية .

وقالتِ الأَميرةُ للسائق: عُدْ بِنا الى القصر أَيُها السائق . إنني أَشعرُ بالتعب . . .

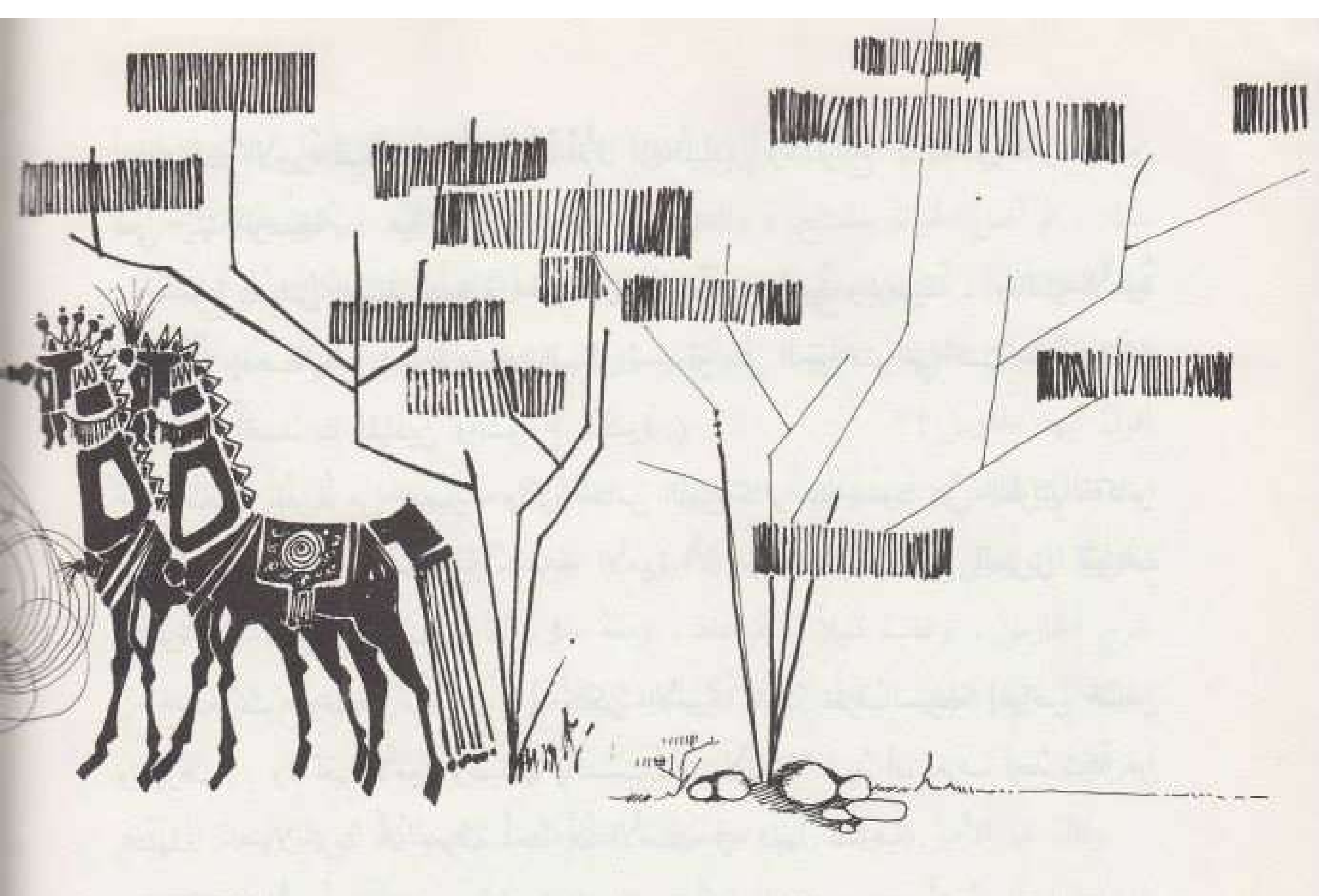
عاد السائقُ بالعربةِ الى القصرِ ، ونزلتِ الأَميرةُ ، واتَّجهتْ الى سريرها . . . إنَّها تشعُرُ بالتعبِ حقاً . . . وتشعرُ بالأَلمِ أيضاً . . .

إستلقتْ على فراشِها . . وجلستِ الوصيفةُ على مقعدٍ قريب من الفراش . . ولاحظت أنَّ الأميرةَ تُغمِضُ عينيها . . . وكأنَّما تتحاشى رؤيةَ شيْءٍ تخشاه ! !

عادَ الأَميرُ عندَ الظُّهرِ ، وقامتِ الأَميرةُ وشاركته تناولَ الغداءِ ، ولم تخبرْهُ عما رأتهُ مِن إعراضِ النَّاسِ عنها . . . إنَّها تشعُرُ أنَّ الناسَ أهانوها . . . ولكنَّها لا تريدُ أن يعرفَ أحدٌ أنَّها أُهينت ! !

وقالَ لها الأميرُ ، بعد أن شربا القهوةَ ، «ليتكِ تشاركينني في لعبِ الشطرنج أَيَّتها الأَميرةُ الغالية . . إنَّكِ تحبينَ هذه اللعبة . . . وقد مضى زمنٌ منذُ أنْ لعبناها آخرَ مرَّة . . .»

رحَّبتِ الأَميرةُ بالفكرة . . . وانسجمت في اللَّعِبِ ، حتَّى إنَّها نسيتِ الإهانةَ التَّي وجَّهَهَا النَّاسُ اليها في الصباح . . . وخطَرَ لها أنَّها بالغتْ في تفسيرِ تَصَرُّفِ النَّاس معها . . .



وقالتْ في نفسها:(إنَّ العربةَ التي كنت أستقلُّها جديدة .. ولعلَّ النَّاسَ لم يعرفوا أنّني أنا التّي أستقلُّها .. مِن المحتملِ أنّهمْ لم يعرفوني ). تمتّعتِ الأميرةُ بلعبةِ الشطرنجِ معَ الأميرِ ، ومرَّ الوقت سريعاً وهما لا يشعرانِ بمروره ... وأخيراً قال لها الأميرُ:( قومي نتناول العشاء ، لكي تنامي مبكرةً يا أميرتي ، فالنَّومُ المُبكِّرُ يُعيدُ لكِ الصّحةَ والعافيةَ ).

تناولا العشاء ، وتبادلا أحاديثَ ممتعة ... ثم ناما نوماً هادئاً عميقا ...

وفي الصباحِ ، توجّهَ الأميرُ الى الديوانِ ، وشعرتِ الأميرةُ بحاجة الى الّرياضةِ الصَّباحية .. إنها تشعرُ بنشاطٍ وحيويةٍ لم تشعرْ بمثِلها منذُ مدةٍ طويلة ...

نزلتْ معَ وصيفتِها الى الاسطبلِ واعتلَتْ كلٌّ منهما مهرةً أصيلةً ، وأوغلتا في الغابة ، وقد علَتْ ضحكاتُهما ...

وصادفَ مرورُ بعض العمالِ والفلاّحينَ في الغابةِ ، فاستوقفتهمُ الأميرةُ ، ونزلتْ عن ظهرِ مُهرتها ، وراحتْ تتحدّثُ اليهم ...



سألتهمْ عن أحوالهم . . . وعن الأعمالِ الّتي أنجزوها . . . وعن موسمِ الحصادِ ، فسعدوا باهتمامِ الأميرةِ الطيّبةِ بهم . . وحملتْ نسماتُ الغابةِ أقوالَهمْ الى الأميرة ، بعدَ أن مضوْا في طريقهم :‏ -( لماذا يُشيعُ الناسُ أنّ الأميرةَ لم تَعُدْ تَهتمُّ بالشعب ؟ ! ! لماذا يقولون إنّها أصبحتْ متعاليةً متكبرة ؟ ! ! إنهم يطلقونَ إشاعاتٍ غيرَ صحيحة . . .)

وجاءتِ الوصيفةُ بباقةٍ من زهورِ الغابةِ ، جمعَتْها أثناءَ انشغالِ الأميرةِ بالحديثِ الى العمّالِ والفلاّحينَ ، وقدّمتها لها . . .

واصلتِ الأميرةُ والوصيفةُ التوغُّلَ في الغابة . . . كانَ الصّباحُ جميلاً . . . والهواءُ عليلاً . . والأميرةُ سعيدة . . .

وأخذتِ الأميرةُ تتصوّرُ كيفَ سيتحدّثُ العمّالُ والفلاحونَ الى الناسِ عن الأميرة . . . لا شكَّ أنّهم سيدافعونَ عنها اذا حاولَ أحدٌ اتهامَها بالكبرياءِ والغرور . . . سوف يَضعونَ حدّاً للإشاعاتِ التي تَناقلَها الناسُ في البلد . . .

وبينما هي تفكرُ ، وتتصوَّر . . . إذْ بعصفورٍ يلفُّ ، في حركةٍ دائريةٍ ، فوقَ رأسِ الأميرة ! ! ثم يقفُ على غصنٍ يعترضُ طريقَها . . . ويقول :

الألمُ يجعلُ العصفورَ يطير . . .
والألمُ يجعلُ الأسنانَ الصناعيةَ تطير . . .
ستشاركينني الألمَ أيَّتها الأميرة
فليس من العدلِ أنْ أتعذَّب أنا
وأنتِ تسعدين . . .

وأخذَ العصفورُ يرفرفُ بجناحيهِ ، ويبكي . . . ثم يطير . . .

ورأتِ الوصيفةُ التي هزَّتها المفاجأةُ ، شيئاً آخرَ يطير ! ! ولم يكن الشيءُ عصفوراً ! ! ولم يكنْ فَراشةً ! ! ولا جَرادةً ! ! إنَّهُ طاقمُ أسنانِ الأميرةِ الجميلةِ قفزَ مِن فمِها الذي فَتحتهُ لتصرخ ! ! وراحَ يطيرُ هنا وهناكَ ، مخترقاً أغصانَ الشَّجرِ وأوراقَها ! ! ثم ارتفعَ الى الفضاء وتلاشى ! !

صرختِ الأميرةُ بالشَّجر:( أيَّتها الأشجارُ النَّاكرةُ الجميلَ ! ! كيفَ سمحتِ للعصفورِ الشقيِّ بالاعتداء عليَّ ؟ ! ! وكيفَ تركتِ أسناني الَّتي طارتْ مِن فمي تخترقُ أغصانَكِ وأوراقكِ دونَ أنّ تُمسكي بها ، وتعيديها اليَّ ! ! )

وردَّتِ الأشجارُ بصوتٍ فيه ألمٌ وحزن:( ايَّتها الأميرةُ الغاليةُ ، أنتِ زرعتِنا وأعطيتِنا الحياةَ ، فشكرنا جميلَكِ وأفسحنا لكِ مكاناً في أحضانِنا وقلوبنا . . والعصفورُ صديقُنا . . . يُطرِبُنا بزقزقتهِ ويُدخلُ الفرحَ والسعادةَ الى قلوبنا . . وقد بَنى عشه فينا وتركَ صغارَهُ وديعةً عِندنا ، لأنهُ يَثِقُ بنا . . . فأتلفتِ عُشَّهُ وقتلتِ صغارَه . . . وبهذا أسأتِ الى حُرْمَةِ الرعايةِ والحمايةِ التي منحناها للعصفور ولصغاره . . . أنتِ التي ظلمتِ العصفور . . . والقولُ المأثور يقول ( الخيرُ بالخيرِ والبادي أكرمُ ، والشرُّ بالشرِّ والبادي أظلم . . إنّنا في أشدِّ الحزنِ منذ أنْ امتنعَ العصفورُ عنِ الغناء على أغصانِنا . . وسيظلُّ الحزنُ يُخيِّمُ على هذهِ الغابةِ إلى أنْ يَتخلَّى العصفورُ عن أحزانِه ويعودُ الى أغصانِنا يُعطينا برفَّةِ جناحيهِ الفرحةَ والسعادةَ . . . )

جَلستِ الأَميرةُ على العشبِ ، وراحتْ تبكي بحرقةٍ ومرارة . . . وأسرعتِ الوصيفةُ المندهشةُ الى الأميرة ، وراحتْ ترفعُ وجهَها بيَن يديها ، وتمسحُ دموعَها . . .

وجاءتْ عجوزٌ من أقصى الغابة . وحين رأتْها . . . أقبلتْ عليها ، وسألتِ الوصيفة عن سببِ بكاء الأميرة .

ولم تُجبِ الوصيفة . . . كانتْ لا تعرفُ ماذا ينبغي عليها أنْ تقولَه ! ! فقالتْ لها العجوزُ أعطني مكانَكِ الى جانبِ الأميرةِ ، وأحضري كأسَ ماء . . .

تركتِ الوصيفةُ مكانَها للعجوز ، فراحت تُدلِّكُ جسمَ الأميرةِ برفقٍ وحنانٍ ، ولما أحضرتِ الوصيفةُ كأسَ الماء ، قدمتهُ للأميرةِ ، فشربته . . . . ثم اخرجتْ من حقيبتها منديلاً أرختهُ على وجهها ، وقالت «أريد العودةَ الى القصر . . .»

وقالتْ للعجوزِ الطيبةِ «تعالي معي الى القصرِ أيّتها العجوزُ الطيبةُ ، إنني أشعُرُ بالراحةِ وأنتِ الى جانبي . . .»

فقالتِ العجوزُ «عندي أشغالٌ لا أستطيعُ تركَها . . . ولكنني سأعودُ اليكِ ، بعد أنْ أُكملَ أشغالي . . . إنَّ حُبَّكِ يا ابنتي قد ملأَ قلبي . . .»

ذهبتِ العجوزُ من حيثُ أتتْ ، واختفتْ بين أشجارِ الغابة . . .

ورجعتِ الأميرةُ والوصيفةُ الى القصرِ حزينتين . . .

ورآهما الأميرُ وهما قادمتين ، فترك ديوانهُ مسرعا . . . وأمسكَ بيدِ الأميرةِ المرتجفة ، وأسرع بها الى غرفتها في القصر . . .

وقالَ لها الأمير ، وقد عرف أنّها فقدت طاقمَ أسنانِها «لا تحزني يا أميرتي . . . سأُحضرُ لكِ الآن طاقمَ أسنانٍ جديد . . . لم تَعُدْ هذه مشكلة . . .»

أخرجَ الأميرُ مفتاحَ الخزانةِ الحديدية من جيبِه ، وأسرعَ الى الخزانةِ وفتحها . . . ولكنّهُ تراجعَ مذعوراً ! ! فقد انطلقَ من داخلِ الخزانةِ الحديديةِ ، كلُّ أطقمِ الأسنانِ الصناعيةِ دفعةً واحدةً ، ثم اندفعت بِقُوّةٍ الى النافذةِ القريبةِ ، فاخترقت زجاجَها ، وحطمته ! ! وطارتْ الى الخارج ! !

أيقنَ الأميرُ أنَّ لعنةَ العصفورِ تُلاحِقُهم ، وتتحدّاهم ! ! ولنْ يقفَ مكتوفاً أمامَ التَحَدّي . . . ولن يستسلمَ لعصفورٍ ضعيف ، وهو الذي قهرَ كلَّ خصومِه وأعدائه ! !

أتتِ الأَميرةُ مُهَرْوِلَةً ، ووراءَها الخدمُ ، عندما سمعوا تحَطُّمَ الزجاج ! ! وقالَ الأَميرُ وهو يتصنَّعُ الأبتسام: «أردتُ أنْ أرميَ عَقِبَ سيجارتي من النافذةِ ، فاذا بي أرمي المفتاحَ بدلَ عقب السيجارة ! ! كانتْ غلطة ، نتج عنها تحطيم زجاجِ النَّافذة ! !»

خرجَ الأَميرانِ من الغرفةِ ، وتركا الخدمَ يزيلونَ شظايا الزجاجِ المتناثرة . . . وجلسا في القاعةِ ، يرتشفانِ القهوةَ صامتين . . .



رأتِ الأميرةُ انزعاجَ زوجِها الشديد ، فلم تطلبْ منه طاقمَ الأسنانِ الذي ذهبَ ليحضِرَهُ لها من الخزانة . . . وقامَ الأميرُ الى ديوانه ، دون أنْ يذكرَ للأميرة شيئاً عن الموضوع . . . إنَّهُ يريد أن يخلوَ الى نفسه ، ليفكِّرَ في مواجهة هذا التحدي ! !

ونظرتِ الأميرةُ الى وجهها في المرآة فرأتهُ مُشَوَّهاً قبيحاً ، وقد انطبق فكَّاها لِخلو فمِها مِن الأسنانِ فانهارتْ وجنتاها ! ! وغارتا في الفراغِ الذي تركتهُ الأسنانُ فأصبحَ وجهُها مثلَ وجوهِ العجائز ! !

ولم تستطعْ احتمالَ مارأت ! ! فدخلتْ غرفتَها مسرعة . . . وأغلقتها على نفسها ، وأخذت تبكي .

إستدعى الأميرُ الخبراء في صناعة الأسنانِ ، وأمرهم بانْ يتناوبوا العملَ ، ليلَ نهار ، لينجزوا المئاتِ من أطقمِ الأسنانِ المطلوبة ، وبأقصى سرعةٍ ممكنة . . .

وخرج الخبراءُ الى المصنعِ ، وهم يَعْجَبُون أشدَّ العجب ! ! لماذا يحتاجُ الأميرُ الى كلِّ هذه الأسنانِ الصناعية !

وأمضى الأميرُ اللَّيلَ ساهراً ، يحكم وضع خطَّةٍ لمواجهةِ التَّحدي ! ! كانَ يرى الأمرَ مهزلة ! ! ! ولكنَّ المهزلةَ تحوَّلتْ الى مأساة ! ! مأساةٍ فرضت نفسها على الأميرة ! ! وعليه ! ! وعلى جميعَ من في القصر ! !

انتهى من وضعِ الخطَّة ، بعد مجهودٍ عظيمٍ وتفكيرٍ طويلٍ . . . أمضى ثلاث ليالٍ متواصلة ، في وضعِ الخطَّة ، لم ينمْ خلالها ساعةً واحدة ! !

ولكنَّ الخطَّةَ التي وضعها لا يمكنُ تطبيقُها إلَّا بعدَ أنْ يتسلَّمَ من الخبراء كميَّةً كبيرةً من أطقمِ الأسنان الصناعية . . . وقد شملت الخطَّةُ أيضاً توزيعَ الأسنانِ الصناعيةِ التي يتم إنجازُها في صناديقَ حديديةٍ ، تُحفظُ في أماكنَ متفرقة . . . بعضُها يُدفن تحت الأرض . . . وبعضها يُحفَظُ تحت الصخور في أعالي الجبال ، وبعضها يُربَط بحبالٍ طويلة ، ويلقى به في قعر البحر . . .

استعرضَ هذه الطريقةَ في حفظ الصناديقِ في خياله . . . فارتاحت نفسُه . . . واطمأنَّ الى سلامتِها . . .

إبتسم راضياً . . . وطلبَ كأساً من عصيرِ البرتقالِ الطازجِ ، فتناولَهُ ، وراح يستعرضُ في خيالِه خُطةَ مواجهةِ العصفورِ وقهْرِه . . .

وسرَحَ بنظرِهِ بعيداً . . . وراح يستعرضُ بخياله خطَّةَ المواجهة . . .

رأى جميعَ الأطفالِ في المدينةِ يحملونَ مصائدَ العصافيرِ التي يطلقونَ منها حجارةً صغيرةً على العصافيرِ ، فتقتلها . . . وابتسمَ بسعادةٍ ، عندما رأى بعينِ خيالِهِ آلافَ الحجارةِ الصغيرةِ تنطلقُ من مصائدِ الأطفالِ ، فتتساقطُ العصافيرُ كالذباب ! !

ثم راح يستعرضُ ، بخيالِهِ ، جميعَ العُمّالِ والفلاحينَ ، وهم يكسونَ أغصانَ الشجر بمادةٍ لاصقة . . . تمسكُ بالعصافيرِ التي تحطُّ على الأغصانِ ، فلا تستطيعُ الإفلاتَ منها . . .

إبتسم الأميرُ بسعادةٍ وهو يرى بخيالِهِ جميعَ العصافيرِ مشدودةً على الأغصانِ بالمادةِ اللاصقة . . . ورأى أيضاً رجالَهُ وهم يجمعونها . . .

فتح عينيه . . . وأخذَ القلَم ، وأضاف الى خُطتِهِ بنوداً جديدة . . . وأغمضَ عينيه ثانيةً . . . وراحَ يستعرضُ بخياله . . .

ورأى الحرسَ والجنودَ ينثرونَ على شرفاتِ القصرِ وحافاتِ النوافذِ ، حبوبَ القمحِ المسمومِ ، ويختبئونَ خلفَ الأبوابِ ، وهم ينتظرون تساقطَ العصافيرِ ، وقد قتلها السُّمُ . . .

ورأى خَدَمَ القصرِ ، ومَعهمْ لفيفٌ من العُمّالِ ينصبونَ الفخاخَ والشِباكَ فوقَ سطوحِ القصرِ والمنازلِ المجاورة . . .

ورأى أخيراً ، ذلك العصفورَ الشقيَّ ، الذي سبَّبَ هذه المتاعبَ يطلبُ العفوَ والغفرانَ ، قبل أن تَحُزَّ رقبَتَهُ سكّينُ الحارسِ الحادَّة . . .

وبعدها ، رأى الأميرةَ ترقصُ . . . ترقص فرحاً وسعادة . . . وهي في كاملِ زينتها ، وعليها أجملُ ثيابها . . .

اطمأنَّ الأميرُ الى خطتِه التي أحكَمَ صياغتَها . . . فنهضَ من مجلسِهِ ، وطوى الورَقَةَ التي سجَّلَ الخطةَ عليها . . . ووضعها في جيبه ، ونادى الخادمَ ، دخل الخادمُ على عجلٍ ، فقالَ لهُ الأميرُ «إذهبْ أنتَ وزملاؤكَ الى السُّوقِ واشتروْا عشرةَ صناديقَ حديدية ، لها أقفالٌ غايةٌ في المتانةِ والقوّة ، وأحضروها بالسرعةِ الممكنة . . .»

خرجَ الخادمُ ، وسمعَ الأميرَ يستدعي أحدَ مُوظَّفيهِ ، ولما دخلَ الموظفُ قالَ لهُ الأميرُ «إذهبْ الى السُّوقِ ، واشترِ جنزيراً حديدياً طويلاً وتأكّدْ من قُوّةِ الجنزيرِ ومتانته».

خرجَ المُوظفُ ، وذهبَ الى السُّوق لشراء الجنزيرِ الحديديِّ الطويل . . .

واستدعى الأميرُ كاتِبَه وقال له «أرسِلْ الى السُّوقِ مجموعةً مِن الرِّجالِ يجمعونَ كلَّ الموادِ اللاصِقةِ ، ثم احفظها في مخزنٍ أمينٍ . . .»

ونادى الأميرُ البستانيَّ العجوزَ وقال له «مَن الذين يصنعون المصائدَ التي يَصطادُ بها الأطفالُ العصافيرَ؟ »

فقال البستاني « اَتقصدُ تلكَ الأقواسَ التي يربطونَ بها أوتاراً مّطاطةً يضغطونَ بِها على حجارةٍ صغيرةٍ فتنطلقُ الحجارةُ كالسِّهامِ وتقتلُ العصافير؟ »

فَقالَ الأميرُ «نعم ، هي»

فَقالَ البستانيُّ «يصنعها بِضْعَةُ رجالٍ فقراء ويبيعونها للأطفالِ الواحدةَ بدرهمٍ»

فقال الأمير «إجعلهمْ يصنعونَ لي مئاتٍ منها وسأدفعُ لهم مكافأةً كبيرةً». وطلبَ الأميرُ مِن رجالهِ صنْعَ فخاخٍ وشباكٍ ، وتلويثَ كمّيةٍ من الحبوبِ التي تأكلها العصافيرُ بالسُّم . . . وأمَر أن يجري كلُّ هذا باقصى سرعةٍ ممكنة . . .

أتمَّ خبراءُ صناعةِ الأسنانِ صنعَ مئاتِ الأطقُمِ ، بعدَ المجهودِ المُضني والمتواصلِ ليلَ نهار . . .ووضعوها على مائدةٍ كبيرةٍ الى جانبِ الأجهزةِ التي يصنعونها بها والموادَّ المتبقية من المواد التي يصنعونها بها . . .

وقال أحدُهم «الحمدُ لله ، إننا صنعنا معجزة ! ! من يُصدِّقُ أنّنا استطعنا إنجازَ هذهِ الكميّةِ الهائلةِ خلالَ أُسبوعٍ واحد؟ ! !»

رَدَّ زميلٌ له وهو يُلقي بنفسهِ على مقعدٍ وراءَ المنضدةِ «ولكنَّه كانَ عملاً شاقّاً جداً ! ! إنّني أشعرُ أنني أنهارُ من شدَّةِ التعب ! ! »

وصاحَ خبيرٌ ثالثٌ: «لم يبقَ إلاّ ساعةً واحدةً على موعدِ تسليمِ البضاعة !؟ تماسكوا أيُّها الزملاءُ ، فعلينا أن نَضعَها في الصناديقِ الحديدية . . . وبَعْدَها ، نستطيعُ أنْ نُصفّقَ لأنفسنا طويلاً . . .»

ضَحِكَ الخبراءُ بِسعادة . . . وقالَ كبيرُهم «هلْ نذهبُ بعد التسليمِ الى نزهةٍ في الغابة؟ .؟»
وصاحوا جميعاً «بل ننام . . . إننا أحوجُ مانكونُ الى النَّوم . . .»
فقالَ كبيرهم «إذنْ ، نجلسُ جلسةَ استرخاء ، . . . بانتظارِ وصولِ رجالِ الأمير . . . وبعد أن يتمَّ التسليمُ . . . ننامُ عشرَ ساعاتٍ متواصلة . . .»
وقال أحدهم «أتدرون أيُّها الزملاءُ أنّني لاأفهمُ حاجةَ الأميرِ إلى كلِّ هذهِ الأطقُمِ من الأسنانِ الصناعية؟ ! ! »
وقال آخرُ« يظهرُ أنَّ الأميرةَ تستبدلَ طاقَمَ أسنانِها كلَّما استبدلتْ ثيابها ! !»
وضجَّ الخبراءُ بالضحك . . .
فقال أحدهُم «لتستبدلِ الأميرةُ طاقَمَ أسنانِها كلَّما استبدلتْ ثيابَها . . . ولتضَعْ عشرةً على رأسِها ، تزيِّنُ بها شعرَها . . . ولْتعلّقْ مائةً أخرى على الحائطِ الى جانبِ اللَّوحات الزيتية . . . كلُّ هذا لايعنينا . . . المهمُّ أنْ نحصلَ على الأجرِ الباهظ الذي اتفقنا عليه مع الأمير الطيب . . .»
وقالَ آخرُ «وزيادةً على الأجرِ ، سيمنحُنا الاميرُ مكافأةً سخيَّة ! ! ليتَ الأميرةَ تفكِّرُ في رصفِ طُرُقاتِ القصرِ بأطقُمِ الأسنان ! ! إنها تجارةٌ رابحةٌ ياأصدقائي! !»

جلسوا جميعاً حولَ المنضدةِ الكبيرةِ ، وأغمضوا عيونَهمْ ، ليريحوها بعدَ السهرِ والإجهادِ المضني . . .
وسمعوا صوتَ جسمٍ صلبٍ يخترقُ النافذةَ . وكأنَّه سهم ! ! ففتحوا عيونَهم بقلق . . . ولما رأوْا عصفوراً يندفعُ الى الغرفة وبمنقاره خيطٌ طويلٌ عادوا الى استرخائهم . . . وأغمضوا عيونهم . . .
اقتربَ العصفورُ منهم ، فرفعَ أحدهم يدَه ليدفعَ بها العصفورَ ، وإذا بجزءٍ من الحبلِ الذي يحملُهُ العصفورُ يلتصقُ بيديهِ ، ويشدُّهما معاً ! ! ثم يَشُدُّ الخبيرَ ، ويقيّدُهُ الى الكرسي ويمنعُهُ عن الحركة ! !


حدث هذا بأسرع من لمح البصر ! !
وصرخَ الخبيرُ المشدودُ الى الكرسيِّ ،
فهبَّ أصحابُهُ مذعورين ! !

وأسرع أحدهم الى سكين ليقطع قيود صاحبه ، فإذا بجزء آخر من الحبل يلتصقُ بيديه فيشدُّهما معاً ! ! ثم يقيِّدُه الى الكرسيِّ مثل صاحبه ! !

راح الخبراءُ الذين لم يؤسَروا بعدُ يطارِدون العصفور . ولكنَّه كانَ يقيِّد الواحدَ تلوَ الآخر ! ! حتَّى أصبحوا جميعُهم مُقيَّدينَ الى الكراسي ! !

وبهدوءٍ شديدٍ ، وقفَ العصفورُ على المائدةِ ، أمامهمْ ، وراحَ يضربُ بجناحيهِ فوقَ المائدةِ ! !

وإذا باطقمِ الأسنانِ الصّناعيةِ تنسحق ! ! وينتشرُ فتاتُها على المائدة ! ! وإذا بالأجهزة التي تَصنعُ الأَسنَانَ الصِّناعيةَ تتحَّطم ! ! وكأنما طحنَتها ماكنةٌ كهربائية ! !

وإذا بالمواد التي يصنعونَ منها الأسنانَ تندلقُ من أوعيتها ! ! وتختلط بفتاتِ الأسنانِ الصّناعية ! ! والأجهزةِ المحَطمة ! !

□□□

استعرض الأميرُ المشترياتِ التي تكدست أمامه بأهتمام ودقَّة . . .

وتأكّد مِن صلابةِ الصناديقِ الحديدية ومتانتها . . .وكلّف ثلاثةً من الجنودِ الأشدّاء أنْ يختبروا قوةَ الجنزير الحديدي الذي سيربطُ بِه الصناديقَ التي سيحفظُها في قعرِ البحرِ ، فأجمعَ الجنودُ على متانتها ، واستحالةِ قطعها . . وسألَ عن المادةِ اللاَّصقةِ ، ومصائدِ العصافيرِ التي يستعملُها الصغارُ في صيدِ العصافيرِ وعنِ الفخاخِ والشِباكِ والحبوبِ المسمومةِ ، فقالوا له أنَّ كلَّ ما أوصى عليهِ قد وصل . . .

عندها ، قالَ الأميرُ لكبيرِ الحرسِ : خُذْ هذهِ الصّناديق الحديدية . ياكبيرَ الحرسِ واذهبْ الى المصنعِ ، حيثُ يعملُ الخبراءُ ، وسلِّمْهم الصناديقَ ، . . واطلبْ اليهم وضعَ البضاعةِ بها . وأقفلها قفلاً محكماً . . .

وبعد أن يَتمَّ ، تسلُّمُ البضاعة ، أُطلُبْ الى الحراس أن يَضربوا طوقاً قوّياً حولَ البضاعةِ ، وأحضرها إليَّ تحتَ الحراسةِ المشدَّدة . .

وأمر كبيرُ الحرسِ أن يضربَ الحرَّاسُ طوقاً حولَ المصنعِ ، وينتظروه ، الى أن يُتمَّ مع الخبراءِ إيداعُ البضاعةِ في الصناديقِ الحديدية . . .

وَقفَ كبيرُ الحرسِ يراقبُ توزيعَ الحرسِ حولَ المصنع . . . وارتاحتْ نفسُه عندما رأى الحرّاسَ يحيطونَ بهِ مِنْ كلِّ جانب ، وكأنّهُمْ حزامٌ حديدي ! !

طرقَ بابَ المصنع . فلم يجبهُ أحد ! ! فأخرجَ مفتاحاً من جيبِهِ وهو يقولُ في نفسِهِ «إنهم لايسمعونَ الطَّرقاتِ على البابِ لشدَّةِ تعَبِهم . . . لقد أستنفذوا كلَّ طاقاتِهم في العملِ المتواصل المضني . . .»

فتحَ كبيرُ الحرسِ البابَ بمفتاحه . ودخل . . . ورأى المنظرَ الذي تقشَعِرُّ لهولِهِ الأجسامُ ! !

كيف لم يفطنِ الحرَسُ المنتشرونَ حولَ القصرِ الى اقتحامِ الأعداء للمصنع؟ ! !

وماذا سيفعلُ به الأميرُ الذي كلَّفَه بإحكامِ الحراسة؟ ! !

تناولَ كبيرُ الحرسِ سكّيناً وجدها على الأرض ، وراحَ يقطعُ الخيوطَ التي تشدُّ الخبراءَ وتقيّدُهم ، ويصيحُ بهم «كيف استطاعَ الأعداءُ ربطكم بهذهِ الخيوطِ الواهية؟ ! ! كيف استسلمتم أيها الجبناء؟ ! !»

التفتَ الخبراءُ الى كبيرِ الحرَسِ ، وخفضوا رؤوسَهم . . . ماذا يقولونَ لكبيرِ الحرس؟ ! ! هل يقولونَ له إنَّ عصفوراً هاجمهم وفعل بهم وبالبضاعة وبالأجهزة والموادِ مافعل؟ ! ! وهل سيصدقهم اذا قالوا له ذلك؟ ! !

صَمتَ الخبراء . . . ولم ينطقوا ! ! وراح كبيرُ الحرسِ يشدُّ شعَرَ رأسِهِ غيظاً ! !

لماذا لايساعدونَهُ في إعطاء المعلومات؟ ! ! أتُراهم خرسوا؟ ! ! أتُراهم تواطأوا معَ الأعداء؟ ! ماذا سيفعل الأمير المنتظِر؟ ! !

دخلَ سائقُ العربةِ ، المُكلّفُ بحملِ البضاعةِ في عربته المقفلة لقد أبطأ كبيرُ الحرسِ في الخروج بالبضاعة ، وقد طلَبَ الأميرُ أنْ يسرعوا بالمجيءِ وهو الآن ينتظرُ وصولَهم على أحرِّ من الجمر !

رأى السائقُ ماحصل ! ! المصنَعُ مهشّمٌ محطم ! ! والخبراءُ واجمون وكأنّهم موتى ! وكبيرُ الحرسِ يضربُ رأسَهُ بيديه ! ! وكأنّما ذهبَ عقلُه ! ! فغادر المصنعَ مُسرعاً ، وعاد الى الأمير في ديوانه . . .

رأى الأميرُ السائقَ ، وعلاماتُ الخوفِ والرُّعبِ على وجهه ! ! فقالَ له «ماذا حدث أيُّها السائق ! !؟ تكلمْ بسرعة»

قالَ السائقُ وهوَ يرتجفُ «لاأدرى ماذا حدث أيُّها الأمير ! ! المصنعُ مهشَّمٌ محطم ! ! والخبراءُ لايتكلمون ! ! وكأنما أصابهم الخَرَس ! ! وكبير الحرَّاسِ في حالةٍ أشبه بالجنون ! ! »

صُعقَ الأميرُ ! ! وأيقن أنَّ ماحدث ، من فعلِ العصفور الذي يلاحقهمْ بلعنته . . .

حضرَ كبيرُ الحرسِ ، وركعَ بينَ يدي الأميرِ ، وراحَ يُقسم بأغلظِ الأيمان أنّهُ لم يغفلْ عن مراقبةِ الحراسةِ لحظةً واحدةً ! !

وقال للأميرِ «كيف يقتحمُ الأعداءُ حرم القصر أيها الأمير ، وأنا أشرِفُ على الحراسِ الذين يحيطونَ بالقصرِ إحاطةَ السِّوارِ بالمعصم؟ ! ! فإذا رأيتَ أيُّها الأميرُ إنزالَ العقوبةِ بي وبالحرسِ ، فلن نلومك . . . ولن يلومَكَ أحد . . .كلُّ الذي أتمناه ، ياسيدي الأميرُ ، أن



أعرفَ هَويَّةَ الأعداءِ الذين هاجمونا ، بالرغمِ من إخلاصِنا في الحراسةِ وحرصنا على حمايةِ القصرِ ، وافتداءِ الأميرِ بأرواحنا . . .»

تكلَّم الأمير . . . وقالَ بحرارة «إنني على يقينٍ من صدقِك ، ياكبيرَ الحرسِ ، ومِن إخلاصِك . . . وإني على يقينٍ من صدقِ الحرس وقيامِهم بواجبِ الحراسةِ بحرصٍ وأمانة . . . وليس لكمْ ذنبٌ ، ياكبيرَ الحرسِ بما حدث . . .

إذهب الى الحرَسِ ، وطَيِّبْ خاطِرهُم . . . وتعالَوْا إليّ . انتم وجميعُ رجالِ القصرِ ، لتسمعوا منّي قصةً طويلة . . . وتعرفوا سرّاً كنتُ أكتمه عنكم . . .» خرج الرجل وهو أشدُّ مايكونُ دهشةً ! ! إنَّهُ لايستطيعُ أنْ يجدَ تفسيراً لحديثِ الأمير ! ! ولكنْ ، عليه أنْ يُبَلِغَ جميعَ الموجودين في القصرِ بأنَّ الأميرَ يدعوهم للمقابلة ! !

أخَذَ الناسُ يتوافدونَ على ديوانِ الأمير . . . حتى أمتلأ الديوانُ بهم . . .

ورفع الأميرُ رأسَه ، وقال لمساعدِهِ: «هل حضر الجميعُ يامساعدي؟؟»

ونظَرَ المساعدُ في وجوهِ الناس . وقالَ «نعم أيّها الأمير»

طلبَ الأميرُ كوبَ ماءٍ ، وشربَ منه قليلاً ، ليبلّلَ فَمَهُ الجاف . . . ثم قصَّ عليهمِ القصَّةَ ، باختصارٍ وبمرارة . . .

قالَ الأميرُ «أمَرَتِ الأميرةُ بإزالةِ عُشٍّ عصفورٍ عن شجرةِ الجميز . . . وكانَ في العُشِّ عصافيرُ صغيرة . . .

حزنَ العصفورُ لفقدِ أولادِهِ الصغارِ ، وصمَّم على الانتقامِ من الأميرة . . . وجعلَ أسنانَها تسقط . . .

وكانَ من المعقولِ أنْ يكتفيَ العصفورُ بهذا الانتقام . . . الذي أصاب الأميرةَ بأشدِّ الحزن . .

وأوصيتُ على صنعِ أسنانٍ صناعيةٍ للأميرةِ ، لتستعيضَ بها عن أسنانِها الطبيعية . . ولكنَّ العصفورَ مضى يلاحقُها . . ويخطفُ الأسنانَ الصناعيةَ منها ، ومن الخزائنِ الحديدية التي أحفظُها فيها . .

وحادثُ اليوم ، هُوَ مِنْ فِعلِ العصفورِ المنتقم . . . إنَّهُ يُحيلُ حياةَ الأميرةِ الى جحيم ! !
تأكَّدوا أيُّها الرجالُ أنَّ الأعداءَ لم يهاجمونا . . ولمْ يقتحموا قصرَنا . . وإنَّما هي لعنَةُ
العُصفورِ ، التي تلاحقُنا بالمصائب . .

إنني حزينٌ من أجلِ الأميرةِ الغاليةِ ، التي سيقتلُها اليأسُ والحزن . . »

مسح الأميرُ دمعةً كبيرةً انحدرت من عينه . . وظهر الحزنُ الشديدُ على الرجالِ الذين
أدهشتهمُ القصة . . وخرجوا صامتين . . ولم يتبادلوا كلمةً واحدة . . .

□□□

جلستِ الأميرةُ في غرفتها . . . تنتظر عودةَ الأميرِ لتناولِ الغداء . . ولكنَّه لم يَعُدْ ! !

شعرتْ بضيقٍ شديد . . وأحسَّتْ أنها السَّببُ في عذابِ الأميرِ وحزنه . .

وصمَّمتْ على عدمِ ذكرِ آلامها وأحزانِها على مسمعٍ منه . . وحتى طاقمَ الأسنانِ الذي
وعَدها بإحضارهِ ، لن تسألَهُ عنه . . . ولن تطالبَهُ به . .

وعندما حضَر الأميرُ متأخراً ، شاركتهُ الطعامَ صامتة . . وتناولا القهوةَ ، دونَ أن يتبادلا
كلمةً واحدة . .

نزل الأميرُ الى ديوانه . . وشعرتِ الأميرةُ بأنها تختنق ! ! فخرجت الى الشرفةِ ، وسرحتْ
بأفكارها بعيداً . . .

ووقع نظرُها على عجوز الغابة ، وقد جلست في ظلِّ شجرةٍ ، تحت الشرفة ، وكانت
الأميرةُ تتذكر هذه العجوزَ الطيبة . وتمنَّى ان تكونَ الى جانبها ، في غمرةِ الحوادثِ
المتعاقبةِ ، إنها عجوزٌ طيبة . . . ويومَ أسعفَتْها في الغابة ، شعَرتْ براحةٍ واطمئنان . .
فأَحبَّتْها . . وظلّت تتذكَّرُها . . .

نادتِ الأميرةُ العجوزَ ، وقالت لها «أُدخلي القصرَ أيَّتها العجوزُ الطيبةُ ، وتعالَيْ إليَّ ، في
هذهِ الشرفة . . لقد أحببتُكِ كثيراً ياصديقتي . . . »

دخلتْ عجوزُ الغابةِ القصرَ ، وقصدتِ الشرفةَ ، وجلستْ على مقعدٍ قريب . . وقالتْ
للأميرةِ «لماذا أنتِ حزينةٌ يا أميرتي ؟ ! أرى كلَّ أسبابِ السعادة متوفرةً لك ! ! »

هزَّتِ الأميرةُ رأسها . . وظهرَ الألمُ على وجهها . .

وقالتْ عجوزُ الغابةِ «صارحيني أيّتها الأميرةُ بما يُحزِنُكِ . . فقد أستَطيعُ مساعدتَكِ . . إنني عجوزٌ مُجَرِّبَةٌ ، ولي خبرةٌ طويلةٌ في الحياة . . . وقد أُقدِّمُ لكِ نصيحةً تُريحُكِ . .»

فقالتِ الأميرةُ بألمٍ شديد «إنني في محنةٍ أيّتها العجوزُ الطيبة . . ولن يستطيعَ أحدٌ مساعدتي . .»

وقالتِ العجوز «هل هي قصّة العصفورِ أيّتها الأميرة ؟ ؟»

فقالتِ الأميرةُ متعجِّبةً «وكيف عرفتِ ؟ ! !»

فقالتِ العجوزُ «سمعتُ ما قالهُ لكِ في الغابة . . ففهمتُ القِّصة جيداً . .»

انتفضتِ الأميرةُ ، وقالتْ «نعم ، أيّتها العجوزُ الطيبة . . . لعنةُ العصفورِ تلاحقني . . وتُفسد حياتي . . إنني أتعذَّبُ أشدَّ العذاب . . ولولا هذهِ المصيبةُ ، لكنتُ أسعدَ النَّاس ، أيّتها العجوزُ الطيبة ! !»

وقالتِ العجوزُ «ألاَ تعرفينَ أيّتها الأميرةُ ، أنَّ الأولادَ أغلى من الحياة ؟ ! ! ألا تعتقدينَ أنّكِ ظلمتِ العصفورَ ، عندما أمرتِ بإزالةِ عُشِّهِ عن الشجرة ؟ ! ! وأنّكِ تسبَّبتِ بقتلِ فراخه ! ! فملأَ قلبَهُ الحزنُ والألم . . . وهكذا راح يلاحقُكِ بالمصائبِ ، لتتعذبي مثلما يتعذب . .»

وقالتِ الأميرةُ بحزنٍ شديد «إنني نادمةٌ أشدَّ الندمِ على ما فعلت . . لقد تصرفْتُ في ساعةِ غضبٍ ، والغضبُ يَجُرُّ المصائب . . صدقيني ، أيّتها العجوزُ الطيبةُ أنَّني مستعدةٌ للاعتذارِ للعصفورِ ، وتعويضهِ عما سبَّبْتُ له ، اذا كفَّ عن إيذائي . .»

فقالتِ العجوزُ «يجب أن نبحثَ عن الشيءِ الذي يخفِّفُ عذابَهُ وألمَهُ . . لأنَّ الألمَ والعذابَ يدفعانِ الى الانتقام . .»

وقالتِ الأميرةُ بلهفةٍ «وماهو الشيءُ الذي يخفِّفُ عذابَه وألمَه ؟ ! ! دلِّيني عليه أيّتها العجوزُ الطيبة . .»

وقالتِ العجوزُ «حَفِظَكِ اللهُ أيَّتها الأميرة . . . الكلمةُ الطيِّبةُ تخفِّفُ العذابَ والألم . . والاعتذارُ يمحو الحقدَ ، ويغسلُ القلوبَ من المرارة . .»

إمتلأَتْ عينا الأميرةِ بالدموع . . وقالتْ للعجوزِ «سأعتذرُ للعصفور المسكينِ عمّا سببته لهُ من العذابِ والألم . . . وسأسامِحُهُ عن كلِّ ما حصل منهُ تجاهي . . . وسأقولُ له إنّني أنا التي أخطأتُ أولا . . . وسأعرضُ عليه استعدادي لتعويضه . . .»

وقالتِ العجوزُ وقد بدا عليها الارتياحُ «إنّني أعتقدُ أن العصفورَ سيقبل عذرك ، وأنّه سيسامِحُكِ ، ويغفرُ لك . . . وسيرتاحُ هوَ من عذابِ الحزنِ والألمِ ، وستسلمينَ أنتِ من الأذى . . .»

فرحتِ الأميرةُ فرحاً شديداً . . . وتفاءلتْ بنصيحةِ العجوز وقررت أن تأخذَ بها . . .

دخلتِ الخادمةُ وقالتْ للأميرة «الأميرُ بانتظاركِ يا سيدتي الأميرةُ ، فتفضلي وتناولي الغداء معه . . .»

قامتِ الأميرةُ ، وذهبتْ الى غرفةِ المائدةِ وتناولتْ غداءها مع الأميرِ بشهية ! ! وشربتِ القهوةَ معهُ بعدَ الغداء ، ولم يبدُ منها ما يدلُّ على الحزنِ والألم ! ! ثم استأذنتِ الأميرَ ، ودخلتْ غرفتَها ونامتْ نوماً هادئاً عميقاً ! !

إرتاح الأميرُ ارتياحاً شديداً . . كان لا يعرفُ ماذا يقولُ لها لو سألتْهُ عن طاقمِ الأسنانِ الذي وَعَدَها به . . . وكانتْ ستصعقُ لو علمتْ بما حلَّ بالمصنع ! ! وكان لا يقدرُ على رؤيتها تتعذب . . وبخاصَّةٍ بعدَ أن فشلتْ كلُّ خططهِ في مواجهةِ تحدِّي العصفور ! !

استيقظتِ الأميرةُ ، وحَمدتِ اللهَ على أنَّ الأمير قد ذهبَ الى ديوانه . . . إنها تريدُ أنْ تخلُوَ الى نفسها . . . إنّها تتمنىَّ أنْ يَحْضُرَ العصفورُ لتعتذرَ له . . وتسترضِيَه . . إنّها تشعرُ بالنّدمِ الآن . . لقد ادركتْ خطأها . . فهي التي بدأتْ بعملِ الشر . . . والخيرُ بالخيرِ والبادي أكرمُ . . . والشرُّ بالشرِّ والبادي أظلمُ . . .

فتحتِ النوافذَ على مصاريعها . . . وراحتْ تنتظر . . .

بعد فترةِ انتظارٍ صعبة . . رأتِ العصفورَ يقفُ على حافَّةِ النافذة . . وقبلَ أن يتكلّمَ العصفورُ ، تقدَّمَتْ منه ، وقالتْ بلهجةٍ فيها صدق . . وفيها نَدَم . . .

أرجوكَ أيها العصفورُ أنْ تسامِحني . .
لقد أخطأتُ في حَقِّكَ في ساعةِ غضب . .
والغضبُ يدفعُ النَّاسَ الى العملِ الخطأ . .
لقد حرمتُكَ ، وحرمتُ نفسي ، وحرمتُ الغابةَ من السعادة . . .
ولم أكنْ أُدركُ أنَّ سعادتنا جميعاً . . . تنبعُ من سعادَتِك . .

بكى العصفورُ تأثُّراً . . وبكتِ الأميرةُ ايضاً . .
وتكلَّمتِ الأزهارُ والورودُ التي كانتْ تُزينُ قاعاتِ القصرِ وشرفاته . . وقالتْ:

أيها العصفورُ الذي لا يليقُ به الحزن . .
العفوُ من شِيَمِ الكرامِ أيُّها العصفور . .
إصفَحْ عنِ الأميرةِ ، واغسلْ قلبَكَ من الحقد . .
وسنبني لكَ عُشّاً جديداً في قلوبنا . .
وستعودُ الفرحةُ الى الأميرةِ والورود
ولكَ ، ياعزيزَنا العصفور . .

رفرفَ العصفورُ بجناحيه . . وارتعشَ جسمُه انفعالاً . . وسالت دمعةٌ على منقارِه . . ثم سقطتْ على حافة النافذة . . وقال بنبرةٍ فيها كرمٌ ، وتسامح :

إنِّي أُسامِحُكِ أيتها الأميرةُ
«فالعفوُ عند المقدرةِ» مَكْرُمَة . .
ستعود أسنانُكِ اللؤلؤُ اليك . .
إبحثوا عن «بذرة الاسنانِ» في «جزيرة الغفران»
وستنمو البذرةُ بسرعة . . فتنمو معها أسنانُك . .
لِأنَّنا تصالحْنا . . وغسلْنا قلوبَنا من الحقد . .

طارَ العصفورُ واختفى . . وشعرتِ الأميرةُ بالأملِ يملأُ قلبَها المُعَذَّبَ . . الحزين . . الذي لم يعرفِ الراحةَ منذُ مدةٍ طويلة . .

وتفتحتِ الورود في البستان . . وراحتْ ترسل عطرَها ، ليملأ كلَّ ارجاء القصر . .

وجاءَ الأميرُ من ديوانهِ مسرعاً . . كانَ يجلسُ في ديوانِهِ مكتئباً حزيناً . . فاذا بموجةِ نسيمٍ عطرةٍ تقتحمُ عليه وِحْدَتَه . . وتدخُلُ الى صدرِهِ ، فينشرحُ . . ويبتهجُ . .

وسمعَ حفيفَ أوراق الشجر وكأنَّها معزوفةٌ في حفلةِ عرسٍ . .

قَصَّتِ الأميرةُ على الأميرِ ما حدث . . ففرحَ فرحاً شديداً . . وطلبَ «عجوز الغابة» فجاءتْ على عجل . . وأعطاها مكافأةً سخيَّةً . . وقالَ لها «هل تعتقدين . أيتّها العجوز الطيبة أنَّ ما قاله العصفورُ صحيح ؟ ! !» فقالت العجوزُ بِثِقَةٍ «العصافيرُ لا تكذِبُ أيها الأمير . . وما عليكَ إلاّ أن تبحثَ عن «بذرةِ الأسنان» في «جزيرةِ الغفرانِ» وعندما تحصلُ على البذرةِ ، تنتهي المأساةُ . . وتعودُ لكم السعادة . .»

استأذنتِ العجوزُ الأميرين في الذَّهابِ الى الغابةِ ، لأنَّ الغابةَ مكانُها الذي تُحِبُّه . . وودعتها ، ومضتْ ، والسَّعادةُ باديةٌ على وجهها . .

وقالتِ الأميرةُ للامير «كيف نستطيعُ الحصولَ على «بذرةِ الأسنانِ» من «جزيرةِ الغفرانِ» أيها الأمير؟ ! .»

فقال الأمير «سأرسلُ كلَّ رجالِ البحرِ للبحثِ عنها»

فقالتِ الأميرة «أريدُ أن أُوضِحَ للناسِ أمراً أساءوا تفسيرَه . . لقد اتَّهموني بالكبرياء والتَّعالي ، عندما جَبُنْتُ عن مقابَلَتِهم يومَ أتوا الى القصر . . كنتُ لا أُريدُهم أنْ يروْا وجهيَ بدونِ أسنان . . وكنت لا أستطيعُ نُطْقَ بعضِ الحروفِ لأنَني بلا أسنان . . فلم أتحدثْ اليهم . .

وقابلتُهم مرةً في ميدانِ المدينة ، فأداروا ظهورَهم . . وإنَّني الآن على استعدادٍ لأن أُطلعَهمْ على ظروفي . . لأستعيدَ محبَّتَهم وإخلاصهم . . . وعندَها سيبحثون عن «بذرةِ الاسنانِ» في «جزيرةِ الغفرانِ» بدافعِ الإخلاصِ والحب . .»

وافق الأميرُ على ما قالتهُ الأميرةُ ، ودعا النَّاس الى اجتماعٍ عامٍ يُعقدُ في ميدانِ المدينةِ الكبير . .

وتقدَّمتِ الأميرةُ للذهابِ الى الاجتماعِ ، وهي لا تشعرُ بالحرجِ من منظرِ فمها الخالي من الأسنان . فلا يَصِحُّ أنْ تُخفيَ الحقيقةَ عن الناسِ ، لئلا تخسرَ ثقتَهم . . . وستستعيدُ أسنانَها اللؤلؤ ، بعدما يعرفُ الناسُ ظروفَها . . ويستعيدون ثقتَهم بها ، ويبحثونَ عن «بذرةِ الأسنانِ» في «جزيرةِ الغفرانِ» بإخلاصٍ ومحبه . .

دخلتِ العربةُ بالأميرِ والأميرةِ ميدانَ المدينةِ الفسيح . . وكانَ قد امتلأَ بالنَّاس على سعتِهِ ! !



ورأيا جميعَ السيداتِ والفتياتِ في الميدانِ ، وقد أسدلنَ على وجوههنَّ البراقع ! !

فَهمتِ الأميرةُ ما تعني هذه الظاهرة . . لقد عرفَ الناسُ مأساتَها . . وحجبتِ النساءُ وجوهَهن مراعاةً لشعورها ! ! لأن رؤيةَ الوجوهِ الجميلةِ ستثيرُ في نفسها ذكرياتٍ حزينة . . بعد أنْ خسِرَتْ جمالَها . .

ودوَّتْ في الميدانِ عاصفةٌ من التصفيقِ الحادِّ ! ! وهتف الناسُ للأميرين الطيبين ! !

وعندما تَرَجَّلَ الأميران من العربة ، وصعدا الى المنصَّةِ التي أُعِدَّتْ لهما تقدَّمتْ سيدةٌ من المنصَّةِ وراحتْ تخطبُ بصوتٍ جهوري . . «لقد عرفنا المأساةَ التي حلَّتْ بالأميرة . . حادِثُ المصنعِ أوضَحَ لنا كلَّ شيْ . . إننا نعتذرُ عن الاتهامات التي رمينا بها الأميرة . . ونحن نُشاركُها الألَم . . ومن أجلِ هذا قرَّرنا وضعَ البراقعِ على وجوهِنا ، لئلا ترى الأميرةُ أفواهاً تزينها الأسنان . . أو ابتسامةً تكسب الوجوهَ اشراقاً وبهجةً . . فتثيرُ أحزانَها . . إننا نعاهدُ الأميرةَ الطَّيبة ، أنْ تبقى البراقعُ مسدلةً على وجوهِنا ، الى أن تنتهي محنتُها . . ويُحدثُ بعد عسرٍ يسرا . . .»

كانَ النَّاسُ يستمعون الخطيبة ، والألمُ يعتصرُ قلوبَهم . . وعندما انتهتْ أجهشَ الجمهورُ بالبكاء . .

وصاحتِ الأميرةُ من فوقِ المِنَصَّة ، وقد هزَّها إخلاصُ النَّاس لها . . ومشاركَتهم النبيلةُ في محنتِها . . كما أنَّ رؤيةَ البراقعِ على وجوهِ السَّيداتِ والفتياتِ ، هزَّتْ مشاعرَها هزّاً عنيفاً ! !

صاحتِ الأميرةُ بصوتٍ جهوري ! ! وبِنُطْقٍ سليم ، لم يشوّهْهُ خُلُوّها من الأسنان ! !

(يا احبائي . . يا أهلي ، ويا أعزَّ وأغلى . . إنَّني عاجزةٌ عن التَّعبيرِ عن شعوري بالسَّعادة ! ! فحُبُّكم أنساني كلَّ العذابِ الذي مزَّق قلبي لشهورَ طويلة . .

إنني أزفُّ اليكم بشرى سعيدة . . فالمحنةُ قد انتهتْ ، وستعودُ السَّعادةُ ، لنا ولكمْ ، وللمدينةِ التي شاركتني أحزاني .

إنَّني أرجو زوجيَ ، الأميرَ الطيِّب ، أنْ ينقلَ اليكم البشرى السعيدةَ ، وأرجو منكم أن تُعينوني على الحصولِ على السَّعادةِ ، لأنَّ سعادتي مشروطةٌ . . ورهنٌ بإخلاصِكم ،

وتعاونكم . . )

وصاحَ الجمهورُ بصوتٍ واحد «نحن في خدمتِك أيتها الأميرةُ الطيبة . . نحنُ على استعدادٍ للتضحيةِ بأرواحنا ، لنجلبَ لكِ السعادة . .»

وتقدَم الأميرُ ، وتكلَّمَ بوضوح . . قالَ الأميرُ «أيها الجمهورُ الطيِّبُ النبيلُ ، أشكركمْ أحرَّ الشكرِ على عواطفِكم . . وعلى شعورِكم المرهفِ ، الذي ينبعُ من أصالتِكُم ، ومن طيبِ معدنِكمُ . .

إنَّ أسنانَ الأميرةِ ، لن تعودَ ، إلاّ إذا حصلنا على «بذرةِ الأسنانِ» من «جزيرةِ الغفرانِ» . .

إنّني أناشدُ جميعَ رجالِ البحرِ ، البحثَ عن هذه البذرة ، وعن جزيرةِ الغفران في كلِّ جهاتِ الدُّنيا . . وإنّني أعِدُ من يهتدي الى الجزيرةِ ، ويُحضِرُ منها «بذرةَ الأسنان» بأكبرِ مكافأةٍ تخطرُ على بالِ إنسان ! ! )

وصاح رجالُ البحر الذين جاءوا يُلبُّونَ دَعوةَ الأميرِ للاجتماع «إنّنا على استعدادٍ للبحثِ عن «جزيرةِ الغفرانِ» حتى لو كانت في أقصى بقاع الدنيا ! ! سنجدُها أيُها الأمير . . وسنحضِرُ منها «بذرة الأسنانِ» فطلبُكَ مقدّس . . ولابُدَّ من تلبيتِهِ . . مهما كلَّفنا ذلك من جُهد ومشقة . .»

وقالَ الأميرُ «كلُّ من يريدُ البحثَ عن الجزيرةِ ، يأتِ الى ديواني ليقبضَ تكاليفَ الرحلة . . ويأخُذَ كميةً كبيرةً من المُؤنِ والحاجيّاتِ التي تستلزمُها الرحلة . . ولْتبدأوا الرحلةَ من الغد . .»

وصاحوا جميعاً «سنكون في ديوانِكَ أيّها الأميرُ ، حالَ عودتِك اليه . .»

وقال الأميرُ بسعادةٍ وفرح «وسأكونُ أنا والأميرةُ في وداعِكم ، على شاطيءِ البحرِ» .

وفي صباحِ اليوم التالي كان الأميران ، وجَمْعٌ غفيرٌ من الناسِ يحتشدون على شاطيءِ البحر ، يلوّحون لرجالِ البحرِ مودّعين ، ومُتمنّين لهم النجاح . .

وأقلعتِ البواخر ، والقواربُ والمراكبُ ، تتهادى في البحرِ ، تتبعُها هتافاتُ الجماهيرِ المتفائلة . . الى أنْ اختفت عنِ الانظار . .

مضتِ الأيامُ تباعاً ، والأميران ينتظران . . وكانَ الأملُ قد حلَّ محلَّ اليأسِ والحزنِ ، فراحتِ الأميرةُ تستعيدُ حيويتَها ونشاطَها بسرعة . . وصارتْ تخرجُ الى الغابةِ في رياضتها الصباحية ، دونَ أنْ يصادفَها ما يزعجها . .

كان الانتظارُ ثقيلاً ! ! ولكنَّ البحثَ عن جزيرةٍ لم يسمعْ عنها أحد ، عمليَّةٌ صعبة ! ! ولابُدَّ أنْ تستغرق وقتاً طويلا . .

كان الأميرُ قَلِقاً ، بعد أنْ أخَذَ بعضُ رجالِ البحر يعودون . . وقال العائدون إنَّهم مضوا في رحلاتِهم الى بلادٍ جِدَّ بعيدة ! ! وعَبَروا بحاراً لم يعبرْها قبلَهم أحد . . وسألوا كلَّ رجالِ البحر الذينَ كانوا على الشواطىءِ التي ينزلونَ عليها . . ولكنَّ جهودَهم لم تُفلح . . .

أخفى الأميرُ عن الأميرةِ أخبار رجوعِ معظمِ رجالِ البحر . . وكانت الأميرةُ عندما تشعرُ بالضيق ، تعودُ فتتذكر أقوالَ العصفور . . وهي واثقةٌ بأنَّه كان صادقاً . . وتستعيدُ في خاطِرها ما قالتهُ عجوزُ الغابة . . ولا شكَّ أنَّها كانت صادقةً أيضاً . .

عادتْ جميعُ البواخرِ والقواربِ والمراكبِ بالبحارةِ الذين أقلعوا للبحثِ عن «جزيرةِ الغفرانِ» وشرحوا للأميرِ ، وهم في أشدِّ حالاتِ الحزن ، كيف أنَّهم فشلوا في الوصول الى تلك الجزيرة . . أو الى معرفة أيِّ شيْءٍ عنها ! !

كانَ مركبٌ صغيرٌ واحدٌ لم يَعُدْ . . إنَّه مركبُ «معروف» ذلك الشابِّ الذي لم يصحبْ معه أحداً في الرحلة . . ولا شكَّ أنَّ المركب قد انقلبَ به ، ومات ، دون أنْ يشعَر به أحد . .

عرفتِ الأميرةُ بعودةِ رجالِ البحر . . فأيقنتْ أنَّ عمليةَ البحثِ قد فَشِلَتْ . . فاستولى عليها اليأس . . وغلبَها الحزن . . وضاقتِ الدنيا في وجهها . .

وذات صباحٍ جلسَ الأميرُ في ديوانِهِ صامتاً حزيناً . . لقد أصبح يُفَضِّلُ الصمت . . ويَسْتَسْلِمُ الى التفكير . .

كانَ ينتظرُ عودةَ رجالِ البحر الذين أقلعوا للبحثِ عن بذرةِ الأسنانِ بأمل . . وقد عادوا جميعاً دونَ أنْ يجدوا جزيرةَ الغفران . . فامتلأ قلبُه يأساً . . وإنَّ حالةَ الأميرةِ الغالية تبعثُ في نفسه أشدَّ الحزن . .

ومما زادَ ألَمهُ ذلكَ الحديثُ الذي جرى بينه وبين الأميرةِ هذا الصباح . . . لقد رفضت أن تتناولَ معه طعامَ الإفطار . . وقالت له بحزن شديد «إنّني فقدت الأملَ أيّها الامير في العثورِ على جزيرةِ الغفران . . أوْ بذرةِ الأسنان . . ووجودي في القصرِ يسبّبُ لكَ الحزن . . لذلك أرى أنْ أُبتعِدَ عن القصر . . لتعودَ السعادةُ لك . . ولأهلِ المدينة . .»

وقال لها الاميرُ «ماذا تقولينَ يا أميرتي ؟ ! ! إنَّ معروفَ لم يَعُدْ بمركبهِ بعد . .»

وقالت الأميرة «في اعتقادي أنّهُ غرق في البحر . . لقد مضى على إبحارهِ ستّةُ شهور . . . ولا أظنُّ أنّهُ لا يزالُ حياً . .»

وقالَ لها الأميرُ وهو يخفي عنها اعتقادَه بأنَّ معروف قد غرقَ بمركبهِ «يجب أنْ تتصّورى أنّه نجحَ في الوصول الى جزيرةِ الغفران . . وقد يعودُ حاملاً بذرةَ الأسنانِ ياأميرتي الغالية . .»

فتنتفضُ الأميرةُ وتقولُ بيأسٍ «هذا مستحيل ! ! مستحيل ! !»

ويقولُ الاميرُ «ليس هناكَ مستحيلٌ يا أميرتي . . يجب أنْ نصبر . .»

وتقولُ الأميرةُ وفي عينيها الدموعُ «لا أستطيعُ أنْ أصبرَ أكثر . . أرجوكَ أيّها الأميرُ أنْ تُحقّقَ لي رغبةً بسيطة . .»

ويقولُ الاميرُ «سأحققُ كلَّ رغباتِكِ يا أميرتي . . أُطلبي ما تريدين . .»

فتقولُ الأميرةُ «أريدُ فقط ، منزِلاً متواضِعاً . . بعيداً عن الناس . . أستطيعُ فيه أنْ أَخْلُوَ الى نفسي . .»

لقد تركها الأميرُ ، بعد أن سمعَ طلبها وحضرَ الى ديوانهِ . . إنَّ كلماتها اليائسة لا تزالُ ترِنُّ في أذنيه . .

دخلَ على الأميرِ كبيرُ المساعدينَ وقالَ له «أسعدَ اللهُ صباحَكَ أيّها الأمير . . اراكَ مكتئباً هذا الصباح ؟ ! !»

فقالَ لهُ الأميرُ «وأسعد اللهُ صباحَكَ يا صاحبي . . إنّني حزينٌ من أجلِ الأميرة . . ولم يعد عندي ما أقولهُ لها . .»

فقالَ كبيرُ المساعدين «إنَّ حزنَكَ يحزِنُنا أيّها الأمير . . فإذا كنت ترى طريقةً لتخفيف ألَمِ الأميرة الغالية ، فنحن على استعدادٍ لتنفيذها . .»

هزَّ الأميرُ رأسَهُ بألم . . وقال «ليس هناك ما يخفّفُ من ألمِ الأميرة . . لقد عملتُ كلَّ ما يمكنُ عملُهُ . . أمرتُ بإخراجِ جميعِ المرايا من القصر . لئلا ترى وجهَها فيزدادُ ألمُها . . أحضرتُ لها أنواعاً من البراقعِ المرصَّعةِ بالجواهرِ ، تغطّي بها وجهَها . . فألقَتْ بها جانباً . .

إنّها لا تتكلمُ إلاّ قليلاً . . لأنها تكرهُ أنْ يسمعها أحدٌ ، بعد أنْ أصبحتْ لا تستطيعُ نُطْقَ بعضِ الحروفِ ، نطقاً سليماً . . .

كانتْ تُعلِّقُ آمالاً كبيرةً على رجالِ البحرِ الذين أبحروا للبحثِ عن جزيرةِ الغفران . . ولكنَّها أصيبتْ بخيبة أملٍ شديدةٍ عندما عادَ هؤلاء ، دونَ أن يجدوا الجزيرة . . إنّها تعتقدُ أنَّ العصفورَ خدعَها . . وقد فاجأتني اليومَ بطلب . . تألمتُ له أشدَّ الألم . . »

فقال كبيرُ المساعدين «ألا تستطيعُ تحقيقَ طلبِها أيها الأمير؟ ؟

فقال الأمير «لا . . يا صاحبي . . طلبُها يصعُبُ عليَّ تحقيقُه . . إنّها تطلبُ أنْ تعيشَ في منزلٍ متواضعٍ . . . بعيداً عن النّاس . . . وهذا يدُلُّ على درجةِ اليأس التي وصلتْ اليها . . »

تأثَّرَ كبيرُ المساعدين كثيراً . . ورأى أنَّ حزنَ الأميرِ له ما يبرره . . فالأميرةُ عزيزةٌ عليهِ الى درجةٍ كبيرة . . ثم إنَّ طلبَ الأميرةِ الخروجَ من القصر ، والأبتعادَ عن الناسِ ، أمرٌ صعبٌ . . صعبٌ ومحزن . . . ومحنةُ الأميرةِ تستعصي على الحلِّ . .

ومما زادَ من مرارةِ الموقف ، أنَّ أحزانَ الأميرةِ والأميرِ انعكست على المدينةِ كلِّها . . إنَّ نساءَ المدينةِ وفتياتِها اللواتي أسدَلْنَ البراقع على وجوهِهن مراعاةً لمشاعرِ الأميرة ، حزيناتٌ . . كما أنَّ الرجالَ الذين يروْنَ هؤلاء النساء والفتياتِ ، والبراقع تغطي وجوهَهن ، يشعرونَ بالحزن . .

إنَّ السعادةَ قد فارقتِ المدينةَ تماماً . .

وفهمَ الأميرُ ما يجولُ بخاطرِ كبيرِ مساعديه . . فقال له «إنني أفكر في الطلبِ الى جميعِ النساء والفتياتِ أنْ يخلعنَ البراقع اللاتي يُسْدِلْنها على وجوههنَّ مراعاةً لمشاعرِ الأميرة . . لأنَّ الأميرة لمْ تَعُدْ تخرجُ من القصر . . حتى ولا تُطِلُّ من الشرفةِ أو النافذة . . وليس من العَدْلِ أن تلبسَ المدينةُ ثيابَ الحزن من أجلِ أحد . . »



وعلا صوتُ أحدِ الحرسِ في الخارج ! ! وسمعَ الأميرُ وكبيرُ مساعديهِ ضجيجاً عالياً ، ولكنَّهُ ضجيجُ فرح ! ! فيه رنَّةُ سعادة ! !

إقتحمَ الحارسُ ديوانَ الأميرِ وهو يلهثُ ! ! وقالَ للأميرِ «لقد عادَ مركبُ معروفٍ أيُّها الأمير ! ! إنَّهُ يمخرُ البحرَ الى شاطئِنا ! ! وقد رفعَ على ساريةِ المركبِ أعلاماً مُزيَّنةً ! !»

وَهَبَّ الأميرُ وكبيرُ مساعديه وهما يسألانِ الحارسَ بلهفةٍ كبيرةٍ «هل أنتَ متأكدٌ أيُّها الحارس ؟ ! !»

وردَّ الحارسُ ووجْهُهُ يفيضُ بالسعادة «كلَّ التأكيدِ ! ! سيكونُ على الشاطئ بعد نصفِ ساعة ! !»

خرج الأميرُ من الديوانِ مسرعاً . . فإذا به يلتقي بالأميرةِ التي هزَّها الخبر ! ! لقد زفَّ البشرى اليها حارسٌ آخرُ من حُراسِ الشاطئ ! !

إستقلَّ الأميران عربتهما الى الشاطئ . . وتبعهما كلُّ من في القصر . . وتتابع وصولُ الجماهيرِ الغفيرةِ الى الشاطئ . لتكونَ في استقبالِ معروف . . واقتربَ المركبُ يتهادى . . بينما ترفرفُ على ساريتِهِ أعلامُ النصر ! ! وعلَتْ هتافاتُ الجماهير التي ملأتْ قلوبَها السعادة ! !

وعندما رسى المركبُ على الشاطئ نزلَ منهُ معروفُ وهو يرفع بين يديه صندوقاً صغيراً ! ! وحمل الناسُ معروفَ على الأكتافِ ! ! وجاءوا بهِ الى الأميرينِ المرتجفينِ من شدةِ الفرحِ ! ! فعانقهُ الأميرُ بحرارة . . .

وقالَ معروفُ بسعادةٍ «لقد نجحتُ في المُهِمَّةِ أيُها الأميران الغاليان ! ! وقد ساعدني على إحرازِ النجاح ، صديقي الصياد ، وزوجتُهُ مرمرةُ المغامرة . .»

ورفعَ معروفُ الصندوقَ قائلاً «هذهِ بذرةُ الأسنانِ في هذا الصندوقِ ! ! وسوف تزرعها «مرمرةُ المغامرة» لتنموَ خلالَ دقائقَ ! ! وتنموَ معها أسنانُ الأميرةِ ! ! وصاحتِ الأميرةُ بفرحٍ عظيمٍ «وأينَ مرمرةُ المغامرةُ يامعروف ؟ ؟»

فقالَ معروفُ «أنَّها معي في المركبِ مع زوجها الصياد . . .»

فصاحَ الأميرُ برجالهِ «أُطلبوا الى مرمرةِ المغامرةِ أنْ تأتيَ ، وتزرعَ بذرةَ الأسنان . . .»

صعدَ رجالُ الأميرِ الى المركبِ . . . ورأى الناس فتاةً في غايةِ الجمال ، تنزل من المركب ، والى جانبها زوجُها الصَّيادُ يفيضُ وجهُهُ بالسعادة . . .

أخذتْ مرمرةُ المغامرةُ الصَّندوقَ من معروف ، وطلبتْ من الناسِ المتجمهرين أنْ يفسحوا لها مكاناً قريباً من الأميرة . . . ثم حفرتْ حفرةً صغيرةً . . . وفتحت الصندوقَ ، وأخرجت منه بذرةً بحجمِ حَبَّةِ اللوز ، ووضعتها في الحفرةِ وغَطَّتْها بالتراب . . .

كانَ الناسُ يراقبونَ ما يجري ، وهم بين مُصَدِّقٍ ومكذِّب ! ! ! ولكنَّ نبتةَ عشبٍ صغيرةٍ ، شقَّتْ ترابَ الحفرة ! !

وصاحتْ سيدةٌ قريبةٌ من الحفرة «إنِّي أرى عشبةً صغيرة ! !»

وراحتْ نبتةُ العشبِ ترتفع ! ! وترتفع ! ! والأميرانِ يُمْعِنَانِ النظر ! ! بينما قلباهما يخفقانِ فرحاً ! !

وأصبحتْ نبتةُ العشبِ ساقاً ! ! وراح الساق يرتفع ! ! ويرتفع ! ! ! الى أنْ أصبحَ جذعاً ! !

وخرجَ من أعلى الجذعِ فرع ! ! ونَبَتَ في رأسِ الفرعِ برعم ! !

بدأ البرعمُ يتفتح ! ! وظهرتْ زهرةٌ بيضاءُ لامعه ! ! وقالتِ الأميرةُ للأمير الذي أذهَلَهُ

ما رأى «أشعر بشيءٍ في فكيَّ أيُّها الأمير ! ! أشعر كأنّما أسناني تنمو ! !»

واكتمل تَفتُّحُ البرعم ! ! وتكوَّنتِ الزهرةُ البيضاءُ اللامعةُ على شكلِ صفّينِ من اللؤلؤ ! !

وصاحتِ الأميرةُ بسعادة لا يمكن وصفُها «لقد نَمَتْ أسناني ! ! لقد نَمت أسناني ! !»

ونظر النَّاسُ الى الأميرةُ المبتسمة ! ! فاذا أسنانها اللُّؤلُؤ قد عادت كما كانت ! !

ارتمتِ الأميرةُ على صدرِ «مرمرةِ المغامرة» وراح الأميرُ يعانقُ معروفَ بحرارةٍ عظيمة ! ! !

خلعتِ النِّساءُ والفتياتُ البراقعَ التي وَضَعْنَها على وجوهِهن . . . وراح الناسُ يرقصون ، وهتافاتُهم وضجيجُهم تَهزُّ الأرجاء . . .

وقال الأميرُ لمعروفَ والصيادِ ومرمرةِ المغامرةِ «أطلبوا ما تشاءون مكافأةً على إعادةِ سعادتِنا . . .»

فقالتْ مرمرةُ المغامرةُ «أريدُ منك أيُّها الأمير ، أن تبنيَ ليَ ولزوجيَ الصَّيادِ ، منزلاً على شاطئ البحر . . . أعيش فيه مع زوجي بسعادة . . . إنّني أُحبُّ البحر وأحبُّ أن أظلَّ قريبةً منه . . . كما أنَّ زوجي الصياد يحبُّ البحرَ مثلي . . . وسيواصل صيد السمك من البحر . . .»

فقال الأميرُ لمرمرةِ المغامرة وزوجها الصَّياد «سأبنى لكما قصراً على البحر . . . وأعطيك أيها الصياد مركباً فخماً ، بَدَلَ مركبكَ الذي غرق . . . لتتنزه فيه مع زوجَتِك مرمرة . . .»

والتفت الأميرُ الى معروفِ وقال له «لماذا لا تتكلَّمُ يا معروف ! ! ما هي المكافأةُ التي تريدُها مقابلَ بطولتِك ؟ ؟»

وقالَ معروفُ وهو يكادُ يطيرُ فرحاً «يكفيني يا سيّدي الأمير ، أنّني استطعتُ إعادةَ السعادةِ ، لَكَ ، وللأميرةِ الغاليةِ ، ولجميعِ أهلِ بلدِنا . . . إنَّ هذه أكبرُ مكافأةٍ يحصل عليها إنسانٌ طيب . . .»

فقال لهُ الأميرُ «سأبنى لكَ يا معروفُ قصراً عظيماً ، مُقَابِلَ قصري . . . وأجعلُكَ من كبارِ الموظفين ، لأنَّكَ قُمتَ بعملٍ بطوليٍ ، لا يستطيعُ القيامُ به إلاّ الأبطال ! !»

صفَّقَ الناسُ طويلاً . . . وعمَّتْ مظاهرُ الفرحِ والبهجةِ . . .

وصاحَ النَّاس بصوتٍ عالٍ «قُصَّ علينا يا معروفُ ، كيفَ اهتديتَ الى جزيرة الغفرانِ ، وكيفَ استطعتَ إحضارَ بذرةِ الأسنان ؟ ! !»

فقالَ معروفُ «سأَقُصُّ عليكم قصةَ الرحلةِ كلِها . . . لتسمعوا قصةً لم يسمعْ مثلَها أحد ! ! ولتعرفوا الأهوالَ التي لم يلقَ مثلَها أحد ! ! والتي لايكاد يصدقها عقل ! ! ولكنْ ، أرجوكم أنْ تعطونيَ مهلةً لأرتاح ، وأَستَجْمِعَ أفكاري . . . لأنني لا أزالُ في حالة ذهول ! ! لشدَّةِ ما لاقيتُ ! !»

فقال الناس بحماسٍ شديد «سننتظرُ يا معروف . . . مع أنَّنا في أشَدِّ الشوقِ لمعرفة أحداثِ الرحلةِ المعجزة ! !»

أمّا أحداثُ ، الرحلةِ المعجزة ، والتي حكى معروفُ تفاصيلَها ، فستأتي في الجزء الثاني من قصةِ « ماذا جرى ، أيتها الأميرة ؟ » في كتاب عنوانه :

**مغامرات معروف**